دعاوى الأصول الآرامية/السريانية للغة العربية وللقرآن الكريم[1]

أ.د. عبدالرحمن السليمان

ملخص:

كثر في الآونة الأخيرة الكلام الذي يزعم فيه أصحابه أن العربية مشتقة من الآرامية/السريانية وأن القرآن الكريم لا يفهم إلا من خلال الآرامية/السريانية. وقد صاغ شخص مجهول يحمل الاسم الوهمي كريستوفر لوكسمبورج هذا الكلام في كتاب يروج له كله أو بعضه مجموعة من أصحاب الجدل الديني في بعض القنوات والمواقع بسبب طبيعته الجدلية. وكان آخر المروجين لهذا الكلام الشاب السعودي لؤي الشريف في كلمات له على (السنابات) أثار بها زوبعة كبيرة في الخليج العربي وخارجه.

وقد سبق ذلك دعاوى تذهب إلى أن النحو العربي مؤسس وفق منطق أرسطو، وأنه متأثر بالنحو السرياني، وأن العرب أخذوا نظام الإعجام والحركات عن السريان. وكان مصدر هذه الدعوى المستشرق الألماني آدلبرت ميركس (1838-1909)، وتلقفها منه اللبناني أنيس فريحة وروج لها في بعض كتاباته.

وعلى الرغم من أن هذه الدعاوى – باستثناء دعوى ميركس – ليست علمية، بمعنى أن أيةً منها لا تستند إلى إطار معرفي معين ولا إلى منهج علمي معروف، فإنها انتشرت في بعض

[1] هذه الدراسة عبارة خلاصة محيّنة لأربع دراسات قام بها الكاتب، بعضها منشور رقميًا، وبعضها منشور ورقيًا، وبعضها غير منشور بعد، بالإضافة إلى دراسة خامسة، فجاءت طويلةً مقارنةً مع ما هو مألوف في الدراسات والأبحاث المقدمة للمؤتمرات. ومما يشفع لطولها سعيُ الكاتب إلى الإحاطة بالدعاوى المتعلقة بالمرجعية الكتابية لمترجم القرآن الكريم إلى لغات ذات مرجعية كتابية، والتي توظف السريانية فيها، وبأساساتها العامة.

الأوساط الرقمية غير العلمية. ومما ساعد على انتشارها إهمال معظم الجامعات العربية لدراسة اللغات الجزيرية وآدابها وتاريخ الشعوب المتحدثة بها.

سوف نتوقف في هذه الدراسة عند دعوى تأثير الآرامية/السريانية على العربية وعلى نحوها من جهة، ودعوى تفسير القرآن الكريم من خلال الآرامية/السريانية من جهة أخرى، وما يتعلق بذلك من كلام يخص اللغة العربية ونظام كتابتها.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، اللغة الآرامية/السريانية، اللغات الجزيرية، القرآن الكريم، الحروف المقطعة، المرجعية الكتابية، كريستوفر لوكسمبورج، لؤي الشريف.

Abstract

It has been recently largely claimed that the Arabic language has descended from the Aramaic/Syriac language and that the Quran can only be understood or interpreted through this language. An unknown person with the pseudonym Christoph Luxenberg has formulated this kind of discourse in a book, which gave rise to huge debates in some channels and websites due to its controversial nature. One of those who have been influenced by these ideas is the Saudi Lu'ay Al Sharif whose ideas have further intensified the debate in the Arabian Golf and elsewhere in the Arab World.

Prior to this, it had been held that the Arabic grammar is based on the Aristotelian logic, that it is influenced by the Syriac grammar and that Arabs have taken their diacritical and vocalization systems from Syriac. The source of this point of view can be traced to the German orientalist Adalbert Merx (1838-1909). His point of view was later adopted by the Lebanese Anis Freiha who developed it in some of his writings.

Even if these views, except for Merx' stand point, are not scientific based, i.e., they are not based on any credible methodological frameworks, they have found their place in some non-scientific environments. The fact that most Arabic universities have neglected studies relating to Semitic languages, their

literatures and the history of people who used these languages, has greatly contributed to this reality.

In this article, we will explore the view point holding that the Syriac language has influenced the Arabic grammar, on the one hand, and that the interpretation of the Quran must be through the Syriac language, on the other. Added to this, we will address some issues relating to the Arabic language and its writing system.

Keywords: the Arabic language, the Aramaic/Syriac language, Semitic languages, the Quran, the *ḥurūf muqaṭṭaʿah* or "Quranic disconnected letters"; Biblical referential framework; Christoph Luxenberg; Lu'ay Al Sharif.

1. مقدمة لا بد منها

تنتمي اللغة العربية إلى أسرة اللغات الحامية السامية (أو اللغات الأفروآسيوية أو اللغات الجزيرية ونحن نفضل هذا المصطلح الأخير). وتتكون هذه الأسرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى اليوم، وفي منطقة امتدت وتمتد من الجزيرة العربية حتى المغرب، ومن جنوب تركيا حتى إثيوبيا. أشهر تلك اللغات العربية والأكادية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية[1] والعبرية والحبشية والمصرية القديمة والأمازيغية.[2]

[1] تفرع عن اللغة الآرامية لهجات عديدة يهمنا منها في هذا السياق اللهجة السريانية فقط، وهي آخر لهجة من لهجات الآرامية القديمة، تعود إلى بدايات العهد المسيحي. فهي اللهجة الآرامية التي عرفت أدبًا نصرانيًا ازدهر بفضل توظيف الفرق النصرانية المختلفة السريانية في جدلها اللاهوتي الكثير، وبفضل ترجمة نصوص فلسفية يونيانية إليها. انظر (1986) .Beyer, K.

[2] انظر (1913) .Brockelmann C؛ (1995) .Bergsträsser G؛ (1923) .De Lacy O ؛ (2002) .Wright, W. & Smith W ؛ (1964) .Nöldeke Th؛ (1964) .Moscati S

ظهرت تسمية (اللغات السامية) سنة 1781، وأطلقها المستشرقان الألمانيان شلوتزر (Schloezer) وإيكهورن (Eichhorn) اللذان أخذاها عن التصنيف التوراتي للبشر بعد الطوفان، أي نسبة لأبناء نوح وهم: سام وحام ويافث.[1] أما تسمية (اللغات السامية الحامية) التي كانت فيما بعد، فهي مركبة قياسًا بأسرة (اللغات الهندية الأوربية). وهذا التصنيف غير دقيق في جميع الأحوال لأنه يعتبر الفينيقيين الذين يتحدثون لغة "سامية" حاميين لأنه كان بينهم وبين اليهود الذين دونوا التوراة عداوات كثيرة. أضف إلى ذلك أن الأفارقة اعتبروا من سلالة حام الملعون، لأن التوراة تنسب إلى نوح عليه السلام لعنته حامًا الذي لم يغط عورة أبيه حسب رواية التوراة[2]، مما برر للغربيين فيما بعد استرقاقهم.

ولما كانت تسمية (اللغات السامية الحامية) أثارت جدلاً واسعًا فيما بعد لأسباب لا يتسع هذا الملخص لذكرها، فقد استبدلت في الأوساط البحثية بتسمية (اللغات الأفرو-آسيوية). أما نحن فنستعمل تسمية (اللغات الجزيرية) ونميز بين (اللغات الجزيرية الشرقية) كناية عن أسرة (اللغات السامية)، وبين (اللغات الجزيرية الغربية) كناية عن أسرة (اللغات الحامية). إن مصطلَح (اللغات الجزيرية) أقرب إلى الحقيقة التاريخية من غيره من المصطلحات المستعملة للدلالة على هذه الأسرة اللغوية المهمة لأن أولئك الأقوام خرجوا جميعهم من شبه الجزيرة العربية إلى العراق والشام وإفريقيا كما يذهب أكثر الباحثين إلى ذلك. وهذه التسمية ليست لنا، ذلك أن أول مَن أطلق مصطلَح (اللغات الجزيرية) هو عالِم الآثار العراقي الأستاذ طه باقر في كتابه (من تراثنا اللغوي القديم – ما يسمّى في العربية بالدخيل)، حيث يناقش فيه مصطلح (الأقوام

و(1998) .Bennett R. P. وانظر أيضًا شحلان أحمد (1984)؛ شحلان أحمد وإدريس أعبيزة (2004)؛ شحلان أحمد (2006)؛ شحلان أحمد؛ (2009) وشحلان أحمد (2017).

[1] انظر سفر التكوين، الإصحاح 10، الآيات 21 إلى31، وكذلك الإصحاح 11 الآيات 10 إلى 26.

[2] انظر سفر التكوين، الإصحاح 9، الآيات 20-27.

السامية) لشلوتزر بناء على سِفر التكوين، فيقول: "ولذلك، فهي [يقصد التوراة] ليست تأريخًا معتَمَدًا. وإذن، فبماذا نسمّي أولئك الأقوام؟ وموجز الإجابة على ذلك أنه بالاستناد إلى الرأي الذي أصبح حقيقةً مُجمَعًا عليها بين الباحثين الآن، وهي إنّ الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية السّاميين وأبرزهم الأكاديون والكنعانيون، والعموريون والآراميون والعبرانيون والفينيقيون وغيرهم، فالاسم الصحيح من الناحية التأريخية والقومية والجغرافية هو أن نُطلق عليهم (أقوام الجزيرة) أو (الجزيريين) أو (الجزريين) أو (الأقوام العربية القديمة)، فقد هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد من العصور التأريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يَصحُّ القول: إنّ الأصول العربية فيها تَطغى على تركيب سكّانها وعلى لغاتها".[1]

فالنظرية السائدة في الدراسات (السامية الحامية) – وسوف نستعمل من الآن فصاعدًا مصطلح (اللغات الجزيرية) بمشتقاته – أن أصل تلك اللغات من الجزيرة العربية، وأن المتحدثين بها هاجروا منها بعد أن تصحرت بداية الألفية الخامسة قبل الميلاد، فقصدوا مواطن الماء والكلأ على ضفاف دجلة والفرات والعاصي في العراق والشام. ونحن ونتحدث عن أسرة لغوية عندما تكون ثمة قرابة لغوية ثابتة ومطردة المجالات الأربعة التالية: (1) الصوتيات و(2) الصرف و(3) النحو و(4) المعجم. والقرابة اللغوية بين اللغات الجزيرية مطردة اطرادًا تحكمه قوانين صوتية ولغوية عامة.[2]

[1] انظر باقر طه، 17:1980. وهذا – بالضبط – ما جعل الأستاذ أحمد شحلان وأتباع مدرسته يسمون هذه اللغات: "اللغات العُرُوبية".

[2] انظر: السليمان عبدالرحمن (2016).

2. الدعاوى

1.2. الدعوى الأولى: دعوى أخذ العرب الحركات عن السريان.

بداية نشير إلى أن دعوى أخذ العرب الحركات عن السريان هذه لم يزعمها سرياني قط قبل العصر الحديث. وكان أول من زعم ذلك عند العرب اللبناني أنيس فريحة[1] في مقال له يفترض فيه أثرًا للغويي السريان في وضع قواعد الصرف والنحو العربيين، زعم فيه أن الأسقف يوسف الرهاوي الراحل سنة 708 للميلاد أسهم في الدراسات النحوية السريانية ووضع نظام الحركات السرياني ذا النقط، وأن أبا الأسود كان معاصرًا له وأنه أخذ نظام الإعجام والحركات العربيين عنه. وبما أن علم النحو العربي يختلف كثيرًا عن علم النحو اليوناني، فقد اعتبر الكثيرون من الباحثين الأجانب علم النحو علمًا عربيًا أصيلاً نبت في أرض العرب "كما تنبت الشجرة في أرضها"[2]. ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا المستشرق آدلبرت ميركس (Adalbert Merx) الذي زعم سنة 1889 أن النحو العربي مؤسس وفق منطق أرسطو.[3] لم يأخذ أحد من المستشرقين كلام ميركس بعين الاعتبار لسببين اثنين. الأول: وفاة الخليل وسيبويه قبل نقل منطق أرسطو إلى العربية. والثاني: قلة التشابه، بل انعدامه، بين النحو العربي والنحو اليوناني.[4] ولما استحال إثبات التأثير اليوناني المباشر على النحو العربي، افترض بعضهم التأثير غير المباشر عليه أي عن

---

[1] اذكره فؤاد حنا ترزي. انظر فؤاد حنا ترزي (110:1969)

[2] محاضرات الأستاذ ليتمان. نقلا عن أحمد أمين (بدون تاريخ)، الجزء الثاني، صفحة 292-293.

[3] انظر: Merx A. (1889).

[4] يزعم فؤاد حنا ترزي (112:1969) أن تقسيم سيبويه الكلم إلى ثلاثة أقسام يوناني لأن أفلاطون قسم الموجودات إلى ذوات (= أسماء) وأحداث (= أفعال) ولأن أرسطو أضاف إليهما قسما ثالثا هو الروابط (= الحروف). فإذا كان الأمر كذلك، لماذا قسم اليونان ومن بعدهم الرومان ومن بعدهم جميع شعوب أوروبا كلمهم إلى ثمانية أقسام؟

طريق السريان الذين اتصلوا قبل العرب باليونان وعلومهم. فزعم ميركس أن حنين بن إسحاق كان قد ألف كتابًا في النحو العربي على الطريقة اليونانية، وأن حنين كان معاصرًا للخليل بن أحمد وأن هذا الأخير أخذ عنه.[1] وكلام ميركس هذا مثير للتأمل لأن مصدرًا واحدًا لم يذكر ذلك غير ميركس الذي لم يذكر في كتابه المصدر الذي أخذ هذه المعلومة منه.

لا تتطلب مناقشة هذه الأقوال وتفنيدها كثير جهد لأن الوهن بادٍ فيها، فكلام ميركس عن كتاب لحنين بن إسحاق في النحو العربي على الطريقة اليونانية يبدو أنه مختلق، وأبو الأسود الدؤلي توفي سنة 688 أي قبل وفاة الأسقف يعقوب الرهاوي بعشرين سنة. فلم لا يكون الرهاوي هو الذي أخذ نظام الحركات عن أبي الأسود؟ ولماذا لم يفعل السريان ذلك، وهم أقدم تدوينًا للغتهم من عرب الشمال، إلا على زمان أبي الأسود الدؤلي؟ إن في نسبة وضع الحركات السريانية للأسقف يعقوب الرهاوي دليلاً على أنه أخذها عن أبي الأسود وليس العكس لأن في هذا التاريخ ما يثبت أن أبا الأسود كان سباقًا في الوضع وأن السريان ما كانوا يفكرون في ذلك قبل أبي الأسود، تمامًا مثل اليهود الماسوريين الذين أخذوا نظامي الإعجام والحركات عن العرب في الوقت ذاته (حوالي 725)، مع فارق أن اليهود يقرون بذلك بصريح العبارة.[2]

---

[1] انظر فؤاد حنا ترزي (110:1969).

[2] قال الأديب اليهودي البارز موسى بن عزرا (القرن الخامس للهجرة): "ولما استفتحت العرب جزيرة الأندلس المذكورة على القوط الغالبين على الرومانيين أصحابها بنحو ثلاثماية سنة قبل فتح العرب لها الذي كان على عهد الوليد بن عبدالملك بن مروان من ملوك بني أمية من الشام سنة اثنين وتسعين لدعوتهم المسماة عندهم بالهجرة تفهمت جاليتنا بعد مدة أغراضهم ولقنت بعد لأي لسانهم وتبرعت في لغتهم وتفطنت لدقة مراميهم وتمرنت في حقيقة تصاريفهم وأشرفت على ضروب أشعارهم حتى كشف الله إليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والادغام وغير ذلك من الوجوه النحوية مما قام عليه برهان الحق وعضده سلطان الصدق على يدي أبي زكريا يحيى بن داود الفاسي المنبوز بحيوج وشيعته رحمة الله عليه ما قبلته العقول بسرعة وفهمت منه ما جهلت قبل". موسى بن عزرا (2013)، الصفحة 145. وقال

والآرامية كانت في ذلك الحين اللغة التي كان اليهود يتكلمون بها قبل استعرابهم، فعلى نطقها اعتمدوا في ضبط أصوات نص التوراة الذي توارثوه دون رواية أو إسناد[1]، لأنهم ما كانوا يعرفون وقتها كيف كان نص التوراة يلفظ؛ لذلك اعتمدوا في تشكيلهم النص العبري للتوراة وضبط أصواته على النطق الآرامي. ولو كان لدى السريان نظام حركات وقتها لأخذه اليهود عنهم خصوصًا وأن الآرامية كانت اللغة التي يتحدثون بها قبل استعرابهم في القرن الثامن والتاسع الميلاديين. ثم إن من الثابت أن اللغة السريانية تكتب بكتابتين هما كتابة "السِّرطُو" (= السطر) وكتابة "الإسترانجيلو" (= [الكتابة] المستديرة). ومن المعروف أن السريان الذين يستعملون كتابة "السِّرطُو" قد شكَّلوها بالحركات اليونانية فأصبحت كتابتهم خليطًا من حروف جزيرية ساكنة وحروف يونانية صائتة. فلو كان للسريان الذين يستعملون كتابة "السرطو" علم بحركات وضعها إخوانهم الذين يستعملون كتابة "الإسترانجيلو"، التي تشكل بالنقط، لأخذوها عنهم بدلاً من إقحام الأحرف اليونانية في أبجديتهم الجزيرية التي خسرت خصوصيتها الثقافية بعد ذلك الإقحام.[2]

اليروشلمي (أديب يهودي من القرن الخامس للهجرة): "وهكذا كانت اللغويون المتقدمون يعتقدون جميعهم الأفعال الثنائية والأفعال الفردية إلى أن ظهر أبو زكريا حيوج رضي الله عنه وأقام الدلايل والبراهين [على] أنه لا يوجد فعل على أقل من ثلاثة حروف، وبين سر الأحرف اللينية والأحرف المندغمة والأحرف المنقلبة فثبت الحق وبطل كل ما سواه! ثم جاء بعده الشيخ المعظم أبو الوليد مروان بن جناح ז"ל وزاد ذلك بيانًا ووضوحًا". المصدر: مخطوط ذكره س. مونك (Munk S., 1850) الصفحة 32. وكان اللغويون قبل حيوج، مثل سعيد الفيومي والفاسي القرائي صاحب كتاب "جامع الألفاظ" (معجم عبري عربي كبير)، يعتقدون أن الأفعال المعتلة ثنائية الجذور، فشرح حيوج ذلك في كتابه "الأفعال ذات حروف اللين"، وهو مختصر فبسط ذلك مروان بن جناح في "كتاب التنقيح".

[1] انظر كلام مروان بن جناح في الفصل 2.4.2. "بين يدي العهد القديم".

[2] لعل هذا المزج بين الأبجدية السريانية (السرطو) والأبجدية اليونانية هو الذي أوحى لبعض العرب في النصف الأول من القرن الماضي بمزج كهذا للتوصل إلى حل لمشكل الكتابة والطباعة آنذاك.

ويذهب أنيس فريحة إلى أبعد من ذلك ويتبعه في خلطه فؤاد حنا ترزي دونما أي تحقيق، فيقارن بين المصطلحات النحوية السريانية ومثيلاتها العربية، ويخلص إلى نتيجة مفادها أن العرب أخذوا مصطلحاتهم عن السريان لأنها تدل على المفاهيم ذاتها. مثال:

المصطلح السرياني	النقحرة	المصطلح العربي
ܫܡܐ ܕܝ ܥܒܕܐ	شِما ذِي عَبْدا	اسم الفاعل
ܡܠܘܬܘܬܐ	مَلُّوثُوثا	الإضافة
ܫܡܐ ܕܐ ܙܒܢܬܐ	شِما ذا زْبَنْتا	اسم المرة
ܫܡܐܗܐ	شْمّاها	الصفة
ܡܠܬܐ	مِلِّيثا	الفعل

إذن يعتبر أنيس فريحة وجود معاني اسم الفاعل والإضافة واسم المرة والصفة والفعل في العربية دليلاً على تأثير النحوي السرياني في النحو العربي لمجرد ورودها فيه! فماذا نقول عن اللغات التي توجد هذه المصطلحات فيها قبل السريان وبعدهم؟ هل نقيس على منطق أنيس فريحة الأعوج ونقول إنها متأثرة بالنحو السرياني؟ هل نقول إن المقابلات اللاتينية للمصطلحات أعلاه (باطراد: participium activum, status constructus, nomen unitatis, adiectivum, verbum) من السريانية أيضًا؟ وهل نقول إنها في الهولندية، على سبيل المثال لا الحصر، من السريانية أيضًا، لأن هذه المصطلحات موجودة في الهولندية أيضًا؟ إن من يزعم زعمًا كهذا مثل مَن يزعم أن كلمة "أم" عربية وجمعها على "أمهات" سرياني بسبب إضافة /الهاء/ في الجمع[1]، ناسيًا أنه لا توجد لغة على وجه البسيطة يستعير أصحابها كلمات بدائية

[1] الأب رافائيل نخلة اليسوعي (173:1959). ويرد رافائيل نخلة اليسوعي كل كلمة عربية ذات أصل جزيري إلى السريانية لأنها أقدم تدوينًا من العربية. وهذا مذهب فاسد لأنه يقتضي بالمنطق رد جميع الكلمات

مثل "أب" و"أم" و"أخ" من لغة أخرى، وجاهلاً أن إضافة الهاء في بعض حالات الجمع ظاهرة جزيرية عامة وليست مخصوصة بلغة جزيرية دون غيرها. ونحن إذا التمسنا العذر للأب رافائيل نخلة اليسوعي صاحب المقولة الأخيرة لأنه رجل دين تراكمت لديه تراكمات ثقافية معينة استغلها في بعض الكتابات الطريفة التي لا يمكن بحال من الأحوال اعتبارها كتبًا علمية لأنه يورد ما تراكم لديه من معلومات كيفما اتفق دون إعمال للتأمل العلمي ولآليات البحث الجاد في ما يورد، فإننا في الوقت نفسه لا نستطيع فهم الخلط الشديد الذي يأتي به أنيس فريحة ويورده على علاته فؤاد حنا ترزي وهو أستاذ جامعي. هذا خلط أنتج آراء فاسدة لا يقول بها عالم بأصول علم اللغة المقارن لأنها آراء مبنية على التخمين والأحكام المسبقة وربما الشعوبية المبطنة، مثل تخمين مَن ظن أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أخذ ترتيبه الصوتي لكتاب العين عن الهنود فقط لأن معجمه لا يعتمد الترتيب الألفبائي المعهود، مثل أبجدية "ديفاناجاري" الهندية التي لا تعتمد الترتيب الألفبائي المعهود أيضًا، وهو التخمين الذي ما تجاوز قط "كونه خاطرة"[1] لم يلتفت إليها أحد لأنها تفتقر إلى أي أساس علمي، فضلاً عن أن معجم الخليل أقدم معجم في التاريخ.[2]

السريانية ذات الأصول الجزيرية إلى العبرية لأن العبرية أقدم تدوينًا من السريانية. كما يجوز وفقا لذلك المذهب رد العبرية إلى الأكادية وهلم جرًا. والباحث العربي الوحيد آنذاك الذي تفطن إلى هذا الأمر هو الأب أنستاس ماري الكرملي (67:1938) الذي يقول: "ولا تكون الكلمة العربية من العبرية أو الآرامية إلا إذا كانت تلك الكلمة خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل. أما الألفاظ العامة المشتركة بين الساميين جميعًا، فليس ثم فضل لغة على لغة ". والكرملي عالم متمكن من مادته إلا أن كتبه قد تجاوزتها الاكتشافات اللغوية والدراسات الجزيرية التي تمت بعد عصره.

[1] انظر (Versteegh K. en Schippers A. 1987:71).

[2] انظر (1960) .Haywood J.A.

2.2. الدعوى الثانية: دعوى كريستوفر لوكسمبورج

تتضمن نية المؤلف في ربط لغة القرآن الكريم بلغة التوراة تلميحًا بأن التوراة هي مصدر القرآن الكريم. وهذا التلميح بلغ درجة التصريح في الترجمة الفرنسية التي أنجزها المترجم الفلسطيني المسيحي سامي الذيب أبو ساحلية[1] الذي يثقل ترجمته بحواشٍ يشير فيها إلى المجانسات التأثيلية العبرية للكلمات القرآنية التي لها مجانسات تأثيلية في العبرية. والغاية الوحيدة من ذكره هذه المجانسات التأثيلية العبرية هي الإيحاء الضمني بأن المفردات العربية المجانسة تأثيليًا للمفردات العبرية هي ومعانيها ومفاهيمهما معها من العبرية.[2] وفي ذلك جهل بمبادئ لغوية لسببين بسيطين الأول هو أن المجانسات التأثيلية بين الكلمات العربية والعبرية موجودة أيضًا في جميع اللغات الجزيرية. فهي موجودة، كلها أو أكثرها، في الآرامية وفي الحبشية وفي البابلية وفي الأوغاريتية وغيرها من اللغات الجزيرية لأنها من التراث اللغوي المشترك. والثاني: لا يحتج في الدراسات اللغوية التأثيلية بأسبقية التدوين. فالعبرية دونت قبل عربية الشمال، بعكس عربية الجنوب التي دونت بدورها قبل العبرية بقرون. وهذا لا يعني أن ألفاظ عربية الشمال – عربيتنا – المشتركة مع اللغات الجزيرية الأخرى مستعارة من العبرية لأن العبرية أسبق تدوينًا من عربية الشمال؛ لا أعرف باحثًا واحدًا يقول بذلك. ولو كانت أسبقية التدوين معيارًا للحكم لوجب رد الألفاظ العبرية التي تشترك العبرية فيها مع العربية والبابلية إلى هذه الأخيرة لأنها أقدم تدوينًا من العبرية بألفي سنة، ولوجب رد نصف شرائع التوراة التي بأيدينا اليوم إلى شرائع بابل وعلى

---

[1] انظر Aldeeb Samy (2008).

[2] وهو بذلك يسير على خطى المترجم اليهودي أهارون بن شمش (بن شمش، 1970) الذي يذكر في الحواشي لترجمته العبرية للقرآن الكريم ما يوازي محتوى القرآن الكريم من محتوى ديني موجود في أسفار العهد القديم أو في التراث الديني اليهودي من مشناه وتلمود وغيرهما. وهذا من أثر الحكم المسبق الذي نشأ في الغرب في العصور الوسطى عن أصل الإسلام والقرآن الكريم والذي لا يزال أثره حتى اليوم قائمًا بطرق أخرى تتجلى في صنيع بن شمش وريفلين وسامي الذيب أبو ساحلية ولوكسمبورج وغيرهم.

الأخص إلى شريعة حمورابي لأنها أقدم تدوينًا من التوراة بألف سنة. بل لقد أثبت نشر الأدب الأوغاريتي بأن كثيرًا من المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام —كما هي في العهد القديم الذي بأيدينا اليوم — مستوحاة من أدب الأوغاريتيين الذين يظن بأنهم كانوا عربًا حكموا غربي سورية ابتداء من الألفية الثانية قبل الميلاد (مملكة أوغاريت أو رأس شمرا) كما تقدم. وتعد ظاهرة الشعوبية المحدثة والشطط الحاصل في نسبة ألفاظ عربية بعينها إلى هذه اللغة الجزيرية أو تلك لأسباب تتعلق بأسبقية التدوين، ظاهرة لا يشتغل بها عالم أبدًا، بل لم يشتغل بها قط سوى بعض الشعوبيين المحدثين في دنيا العرب. وأكثر من يقول بها الشعوبيون الجدد. ثم إن البحث العلمي أثبت أن العربية الشمالية — على الرغم من أنها أحدث تدوينًا من سائر اللغات الجزيرية — أقدم من سائر اللغات الجزيرية، بما في ذلك الأكادية التي دونت ابتداء من مطلع الألفية الثانية قبل الميلاد، وذلك لبقائها في الجزيرة العربية — موطن الشعوب الجزيرية الأول — واحتفاظها بخصائص اللغة الجزيرية الأم حتى اليوم. ونستأنس في هذا السياق بقول النحوي السرياني أقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان في كتابه (اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية) في معرض حديثه عن اللغات الجزيرية: "وأشهر اللغات السامية هي العربية والعبرانية والسريانية والحبشية بفروعهن الكثيرة [..] وإنما ذكرنا العربية أولاً بين اللغات الجزيرية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأقدمهن وأغناهن. ومعرفتها لازمة لمن يريد أن يتقن [إتقانًا] حسنًا معرفة سائر اللغات السامية ولا سيما السريانية".[1] ويضيف: "ثم إننا لا نعتقد أن الآرامية هي أقدم اللغات السامية كما زعم قوم، وأقل من ذلك أنها أقدم لغات العالم كما زعم غيرهم بلا بينة ولا أساس. بل نثبت مع العلماء المحققين أن اللغة العربية هي التي تقرب إلى أم اللغات السامية أكثر من أخواتها".[2] ويقصد

[1] انظر (داود 1896)، الصفحة 10.

[2] انظر (داود 1896)، الصفحة 13.

أقليميس يوسف داود بالعلماء المحققين المستشرقين الذين قالوا بهذا الرأي الذي ينقله، ونذكر منهم شخولتنز ونولدكة وبرغشتراسر وبروكلمان ورايت ودي لاسي الذين أثبتوا هذه الحقيقة بالدرس المقارن للغات الجزيرية. ولا يتسع المجال هنا لمناقشة الشطط في كتاب لوكسمورج،[1] لكننا نعرض بسرعة لفكرته الرئيسة ومفادها أن القرآن الكريم كتب بلغة هجينة عربية وسريانية قبل إدخال الإعجام والشكل في الكتابة العربية، وأن المسلمين عندما أعجموا الحروف وضبطوا النطق بالحركات اعتمدوا في ذلك على العربية فقط، وهو ما جعل المفسرين المسلمين يخطئون فهم المعاني الحقيقية للقرآن الكريم. ثم راح يفسر كل كلمة عربية في القرآن الكريم، لها ما يجانسها تأثيليًا في السريانية، بأنها يجب قراءتها وفهم معناها بناء على المعنى السرياني لها، وليس العربي، علمًا أنه لا يذكر للقارئ ما الحكمة من مخاطبة القرآن الكريم العرب بالسريانية. وكي نمكن القارئ غير المتخصص من فهم هذا الخلط نستحضر هنا أن الكتابة العربية والسريانية والعبرية لا تحتوي إلا على حروف صامتة مهملة وأن العرب كانوا أول من أدخل نظامي الإعجام والحركات لضبط نطق القرآن الكريم، وقد قام بذلك أبو الأسود الدؤلي، فأخذهما عنهم اليهود والسريان لضبط نطق كتابي العهد القديم بالعبرية والجديد بالسريانية كما تقدم في تفنيد الدعوى الأولى، علمًا أن العبرية كانت وقتها لغة ميتة لأكثر من ألف سنة كما تقدم.

ولفهم منهج لوكسمبورج نمثل بكلمة (لحم) في اللغات الجزيرية، فلقد وردت الكلمة في الأكادية/البابلية كما يلي: /لِيمُ/ (وأصلها: لحمُ لأن الكتابة المسمارية لا تظهر الحاء) ومعناها: "ذوق"؛ وفي الأوغاريتية: /لَحْم/ "خبز، طعام"؛ وفي السريانية: ܠܚܡ = /لَحْما/ "خبز، طعام"؛ وفي العبرية: לחם = /لِحِم/ "خبز، طعام"؛ وأخيرًا في العربية: /لَحم:/ "اللحم". يتضح جليا من النظر في هذا الجذر ومن الاستقراء الأولي له أنه يعني في هذه اللغات "الطعام" بمعنى: "مادة الغذاء الرئيسية"، وكان هذا "الطعام" عند أوائل الجزيريين "اللحم" لأنهم كانوا

[1] انظر Luxenberg, Christoph (2000) و Luxenberg, Christoph (2007).

بدوًا، والبدوي يصطاد ويشوي ويأكل كما هو معلوم، ولا يزرع القمح أو يعالجه خبزًا. وتحول مفهوم هذه الكلمة الدلالي نتيجة لتطور حياة الجزيريين الاجتماعية، فدل عند قوم على "اللحم"، وعند قوم على "الخبز".[1] فالآراميون والعبران تمدنوا قبل عموم عرب الشمال (تحضر عرب الجنوب قبل عرب الشمال بقرون كثيرة)، وانتقلوا من حياة البداوة والصيد إلى حياة الاستقرار والفلاحة، فتطور مفهوم /لحم/ – الذي كان يدل عندهم على المادة الغذائية الرئيسية – من /لحم/ إلى /خبز/ كما يبدو جليًا.

والشاهد في هذه الكلمة هو أن هذه اللغات – باستثناء البابلية – لم تكن تدون الأحرف الصائتة في الكتابة قبل أبي الأسود الدؤلي وبالتالي فإن أحدًا سوى العرب والسريان لا يعرف كيف كانت هذه الكلمة تنطق لأن الكتابات العربية والسريانية والعبرية ترسمها هكذا (لحم) بدون حركات. من جهة أخرى: تتفرد العربية بمعنى "اللحم" فيها بينما تعني الكلمة في العبرية والسريانية "الخبز".[2] والشاهد هنا هو أننا إذا أردنا تطبيق منهج لوكسمورج الغريب لقرأنا (لحم) العبرية وفق النطق العربي لها (هكذا: لَحْمٌ) وليس وفقًا للنطق العبري لها (هكذا: لِحِم) ولقلنا إن معناها "اللَّحم" وليس "الخبز" كما يرى أحبار اليهود ونخطئهم جميعًا بجرة قلم كما يفعل لوكسمبورج مع علماء المسلمين بناء على استغلال كهذا للقرابة اللغوية بين اللغتين العربية والسريانية. وهذا خلط لم يهتم به أي باحث في الغرب أو في الشرق مستعربًا أكان أم من علماء الكتاب المقدس، لأنه غير مؤسس على علم. والاهتمام الوحيد بالكتاب كان من بعض وسائل الإعلام ومواقع الفتنة في الشبكة العنكبية لا غير لأن فيه استغلالاً للعلم وتوظيفًا له

[1] يختلف "الطعام الأساسي" في العربية اليوم باختلاف التقاليد المحلية، فهو عند المصريين "الخبز أو العِيش"، وهو عند المغاربة "الطعام أو الكُسكُس" المصنوع من دقيق القمح الخ.

[2] أما مجيئها في سفر أيوب بمعنى "اللحم" (לחום = /لِحُوم/ "لحم"؛ سفر أيوب الإصحاح 20 الآية 23) فلا يعتد به لأن ثمة توجهًا في الدراسات التوراتية يعتبر سفر أيوب دون بالعربية أولا ثم ترجم فيما بعد إلى العبرية وذلك لكثر الألفاظ العربية الدخيلة فيه.

للوصول إلى نتائج لا تصمد أمام النقد لضعفها. وأقصد بالعلم المنهج المعروف في الدراسات التوراتية ألا وهو تفسير ما غمض من العهد القديم بمقارنته باللغات الجزيرية عمومًا والعربية خصوصًا، وهو تقليد علمي بدأه اليهود المستعربون في الحواضر الإسلامية كما سيتضح في تفنيد الدعوى الرابعة، وسار عليه جميع المعجميين المشتغلين بعبرية العهد القديم منذ ابن جناح القرطبي (990 – 1055) حتى يومنا هذا، وكذلك جميع الأدباء واللغويين والمفسرين اليهود والنصارى منذ سعيد بن يوسف الفيومي (882 – 942) حتى يومنا هذا. ومن أهم من اشتغل بهذا المنهج في العصر الحديث عالمُ العهد القديم الإسكوتلندي جيمس بار (James Barr) في كتابه: "علم اللغة المقارن ونص العهد القديم"[1]، حيث يحاول جيمس بار أن يحدد المعنى الدقيق لما غمض من كلمات العهد القديم بطريقة مثيرة الإعجاب لعلمه الغزير باللغات الجزيرية وبأسفار العهد القديم وبمناهج التأثيل وعلم اللغة المقارن.[2] وفي الحقيقة إن ما فعله لوكسمبورج في كتابه هذا هو توظيف هذا المنهج العلمي الذي برع فيه جيمس بار ولكن معكوسًا. ففي حين يجتهد جيمس بار في تحديد المعنى الدقيق لما غمض من كلمات في العهد القديم المروي بلغة ميتة هي العبرية التوراتية، وذلك بمقارنتها بما يجانسها تأثيليًا في اللغات الجزيرية عمومًا وبالعربية خصوصًا، ويفسرها من العربية لأنه يجعل العربية الحية شاهدة على العبرية التوراتية واللغات الجزيرية الميتة، يعكس لوكسمبورج الآية ويوظف هذا المنهج من أجل شرح نصوص اللغة العربية الحية من خلال معجم اللغة الآرامية/السريانية الميتة. وهذا محال لأن فاقد الشيء – وهو الحياة هنا – لا يعطيه. مع فارق آخر مهم هو ضحالة المستوى اللغوي والمعرفي للوكسمبورج، وتخفيه خلف اسم مستعار للتغطية على ضحالته المعرفية، ولتبرير الشطط في كتابه. وهذا ما يفسر عدم اهتمام أحد من أهل العلم باللغات الجزيرية بكتابه.

---

[1] انظر (Barr, J. (1968.

[2] انظر على سبيل المثال لا الحصر: (Barr, J. (1968، الصفحة 15 – 37.

وسأضرب أدناه مثلين اثنين، واحدًا عن توظيف لوكسمبورج لهذا المنهج، وآخر عن توظيف جيمس بار له في كتبه الكثيرة وأهمها الكتاب المذكور أعلاه، وذلك بهدف جلاء الصورة، صورة المنهج العلمي الأصلي كما هو معمول به في دراسات الكتاب المقدس عمومًا والعهد القديم خصوصًا، وكيفية استغلال لوكسمبورج له بطريقة تعسفية.[1]

يدعي لوكسمبورج[2] في معرض حديثه عن الآية ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل الآية 103) أن الجذر العربي (لحد) في الآية الكريمة تصحيف للجذر السرياني (لعز) (ܠܥܙ = /لْعِز/ وأصله /لْغِز/ بالغين)، ثم يكسبه معنى الفعل "رَمَزَ" بلا دليل، شأنه في ذلك شأن صنيعه مع سائر ما يدعي في كتابه، ثم يعيد كتابة الآية على أنها كانت في الأصل كما يلي: (لِسَانُ الَّذِي يَرْمُزُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ).

في الحقيقة لا توجد علاقة تأثيلية أو اشتقاقية أو دلالية بين الفعلين الجذرين (لحد) و(لغز)، لا في العربية ولا في اللغات الجزيرية. فالجذر (لحد) عربي وليس من الموروث الجزيري المشترك. ولا علاقة له بالجذر /لغز/ الذي يفيد في العربية معنى "اللغز" المعروف، وهو الشيء المبهم والغامض. فهذا الأخير من الموروث الجزيري المشترك. وسنتوقف عند تأثيله في العربية والسريانية واللغات الجزيرية، فهو كفيل بتبيين خلط لوكسمبورج وإسقاطه.

يشير الاستقراء في الجذور الجزيرية إلى أن الجذور كانت في الأصل ثنائية كما هو معلوم في الدراسات الجزيرية المقارنة، يُضاف إليها حرف ثالث لتحديد المعنى. مثلاً: الجذر الثنائي /ج م/ يفيد – في أكثر اللغات الجزيرية – معنى "الجمع"، ثم أضيفت إليه حروف أخرى لتحديد

[1] المثال والاقتباسات بداخله مأخوذة كلها من (Barr, J. (1968، الصفحة 14 – 15.

[2] انظر (Luxenberg, Christoph (2007 الصفحة 112.

ماهية "الجمع" وكيفيته، فكانت الجذور الثلاثية /جمع/ و/جمم/ و/جمل/ الخ التي تفيد معاني فرعية دقيقة تدور كلها في المعنى العام ألا وهو "الجمع" كما مر معنا.

وإذا نظرنا في الجذر الجزيري الثنائي /لغ/، وجدنا أن المعنى العام له هو: "الكلام غير المفيد؛ الثرثرة؛ الكلام المبهم". وإذا أمعنا في الاستقراء وجدنا أن الشعوب الجزيرية أضافت إليه حروفًا ثالثة للحصول على جذور ثلاثية مثل /لغط/ و/لغو/ و/لغز/ و/لغم/ و/لغي/ الخ. وتفيد هذه الجذور كلها في اللغات الجزيرية معاني تدور حول المعنى العام للجذر الثنائي /لغ/ ألا وهو "الكلام غير المفيد؛ الثرثرة؛ الكلام المبهم". لنتأمل هذه الجذور في اللغات الجزيرية:

1. /لغز/: يفيد هذا الجذر في العربية معنى "اللغز" المعروف، وهو الشيء المبهم والغامض. ويجانسه في العبرية: לעז = /لاعَز/ (وأصله: لاغَز بالغين) "تحدث بلغة مبهمة ومن ثمة أجنبية". والكلام الأجنبي غير المفهوم هو بمثابة "اللغز" على الجاهل به كما هو معلوم. ومنه في العبرية: לעז = /لُوعِيز/ "اللغة الأجنبية". ويجانسه في الآرامية وفي السريانية القديمة: לעוזא / = /لاعُوزا/ (وأصله: لاغوزا) "التحدث بلغة أجنبية". ويجانسه في السريانية: ܠܥ = /لِعَز/ (وأصله: لِغَز) "تحدثَ بلغة أجنبية أيضاً"، وكذلك ܠܥܙ = /لِعْزا/ (وأصله: لِغزا) "اللغة الأجنبية". ومنه في العبرية أيضاً לעז = /لاعَز/ (وأصله: لاغَز) بمعنى "غمزَ، لمزَ".[1]

[1] ولا يحتج بتفسير الاشتقاقيين الشعبيين من اليهود لـ לעז = لعز على أنه منقحر من לשון עם זר = /لَشون عَم زَر/ أي "لسان شعب أحنبي"، فهذا اشتقاق شعبي لا أساس له.

2. /لغط/: يفيد هذا الجذر في العربية معنى "اللغط" المعروف، وهو الشيء السري. ويجانسه في الأكادية /لَعاطُ/ وفي العبرية: לעט = /لَاعَط/ (وأصله: لاغَط بالغين أيضا) "بلعَ الكلام بَلعاً (أي تحدث بصوت غير واضح)"؛ وفي السريانية: ܠܥܛܐ = /لُوعاطا/ "ثرثرة".[1]

3. /لغو/: يفيد هذا الجذر في العربية معنى "اللغو" المعروف، ومنه اشتقت /لغة/ وأصلها /لغوة/ وهو اسم المرة من "اللغو". ويجانسه في العبرية قطعًا: לעג = /لَاعَع/ (وأصله: لاغَغ) "لغا يَلغُو" وكذلك לעלע = /لِعْلَع/ "تَأْتَأَ".[2]

---

[1] بقي في اللهجات الشامية أثر من ܠܥܛܐ = /لُوعاطا/ "ثرثرة" هو: (لَعَّ) أي "ثَرثَرَ"، وكذلك قول أهل الشام: (حاجِه تْلِعْ يا زَلَمِة) أي "كفاك ثرثرة يا رجل"! وكذلك (لَعْلُوع) أي "ثرثار". يقال: (فلان لَعْلُوع لا يسكت)!

[2] وذلك بعد رد هذا الجذر إلى أصله الثنائي وذلك بإسقاط لام /لغو/ العربي ولام /لَعَع/ العبري ليصبح لدينا: /لغ/ وهو الجذر الثنائي لكل من /لغط/ و/لغو/ و/لغز/ و/لغم/ و/لغي/ الخ. أما زعم من زعم بأن "لغة" في العربية مستعارة من "لوغوس" (λόγος) اليونانية، فهذا أقل ما يمكن أن يقال فيه إنه "لغو"؛ ذلك أن المعاجم اليونانية تذكر أن المعنى الحسي للكلمة اليونانية هو "اختار". أما معنى "تحدث" فهو مجازي فيها لأنه جاء فيها بمعنى "اختار الكلمات" ومن ثم "الكلام المختار" أي "الكلام المنطقي" (logic/logique). وعليه: فلا علاقة بين "لغة" العربية و"لوغوس" اليونانية، لا من قريب ولا من بعيد، لأن "لغة" عربية قحة تشترك العربية في أصولها الرئيسة والفرعية مع أكثر اللغات الجزيرية. وإذا كان من علاقة ما بين "لغة" العربية و"لوغوس" (λόγος) اليونانية فتكون نتيجة لاستعارة هذه الأخيرة الكلمةَ من العربية أو تكون لاستعارة اليونانية جذرَها من واحدة من اللغات الجزيرية الأخرى التي قد تكون اليونانية اتصلت بها قبل اتصالها بالعربية، كما فعلت مع (قانون) على سبيل المثال. ذلك ثمة من يدعي أن كلمة (قانون) معربة عن اليونانية (kanón = κανόν) التي تعني فيها "قاعدة"، وفي الأصل: "خط للقياس". وبالنظر في أصل الكلمة يتضح أنها مشتقة من اليونانية (kanón = κανόν) التي تعني فيها "قصب". وقد انتقلت هذه الكلمة اليونانية إلى اللاتينية (canon) ومن اللاتينية إلى أكثر لغات الغرب. وعند التدقيق في الكلمة اليونانية يتضح أنها مستعارة من اللغات الجزيرية، إذ جاء في الأكادية (مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد): /قَنُو/ "قصب"، وكذلك

4. /ولغ/: ومنه (وَلَغَ) في العربية ويجانسه في العبرية: לעע = /لِع/ (وأصله: بالغين) وكذلك לעלע = /لَاعَع/ (وأصله: لاغَغ) "ولغَ" (في الماء)، "ابتلع الماء"، وكذلك في السريانية ܠܥ = /لِع/ (وأصله بالغين) "ولغَ" (في الماء)، "ابتلع الماء".

وعليه فإن ربط لوكسمبورج الجذر العربية (لحد) الذي ليس من الموروث الجزيري المشترك بالجذر السرياني (لعز) الذي هو من الموروث الجزيري المشترك ربط يفتقر إلى العلمية افتقارًا كليًا، ولا تفسير له إلا التعسف والشطط.

وبمقارنة ذلك مع توظيف منهج علم اللغة المقارن[1] للغات الجزيرية كما وضع أسسه الأولى اليهود المستعربون في العهد العباسي وكما طوره علماء اللغات الجزيرية في القرنين الماضيين، نرى بوضوح انعدام المنهج في مقاربة لوكسمبورج. وسنوضح ذلك بناء على المثال أدناه.

في العبرية קנה = /قانِه/ "قصب" أيضًا. أما في الحبشية فتعني /قنوت/ = qanōt "عصا وخز" (لوخز الماشية في مؤخراتها وحثها على المسير). وأما في الفينيقية (= قنا) وفي الآرامية والسريانية (ܩܢܝܐ = /قَنْيا/) وأخيرا في العربية (= قناة، قنا) "الرمح". وأصل القناة: "العصا" المستوية. قال في اللسان (مادة /قنا/): "وكل عصا مستوية فهي قناة". والعصا المستوية هي العصا التي يقاس بها ويرسم بها الخط المستقيم، وهذا معنى "قانون" الأصلي في اليونانية، أي "خط للقياس"، ثم استعمل مجازًا ليدل على "القاعدة"؛ فثبت أخذ اليونان لها عن اللغات الجزيرية، ذلك أن اليونان جاؤوا ألفي سنة بعد الأكاديين الذين جاء في لغتهم: /قَنُو/ وهي القصبة المستقيمة.

[1] نذكر بأن علم اللغة المقارن على يقوم على أربعة أصول هي: الصوتيات والصرف والنحو والمعجم. والقرابة اللغوية التي لا تثبت على أساس هذه الأصول الأربعة ولا تحكمها قوانين صوتية مطردة لا تكون قرابة لغوية بل مجرد صدفة. وأي مقاربة بحثية بين اللغات لا تأخذ بعين الاعتبار هذه الأصول والقوانين مقاربة غير علمية — ومنها مقاربة لوكسمبورح في كتابه كما أبنا في ربطه بين (لحد) العربي و(لعز) السرياني — ولا قيمة لأي استنتاج يؤسس عليها.

جاء في سفر القضاة (الإصحاح 18، الآية 7): וַיֵּלְכוּ חֲמֵשֶׁת הָאֲנָשִׁים, וַיָּבֹאוּ לָיְשָׁה; וַיִּרְאוּ אֶת-הָעָם אֲשֶׁר-בְּקִרְבָּהּ יוֹשֶׁבֶת-לָבֶטַח כְּמִשְׁפַּט צִדֹנִים שֹׁקֵט וּבֹטֵחַ, וְאֵין-מַכְלִים דָּבָר בָּאָרֶץ יוֹרֵשׁ עֶצֶר ,וּרְחוֹקִים הֵמָּה מִצִּידֹנִים, וְדָבָר אֵין-לָהֶם עִם-אָדָם.

"فَذَهَبَ الْخَمْسَةُ الرِّجَالِ وَجَاءُوا إِلَى لاَيِشَ. وَرَأَوْا الشَّعْبَ الَّذِينَ فِيهَا سَاكِنِينَ بِطَمَأْنِينَةٍ كَعَادَةِ الصِّيْدُونِيِّينَ مُسْتَرِيحِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ مُؤْذٍ بِأَمْرٍ وَارِثٌ رِيَاسَةً. وَهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الصِّيْدُونِيِّينَ وَلَيْسَ لَهُمْ أَمْرٌ مَعَ إِنْسَانٍ".[1]

العبارة المشكلة هنا هي: וְאֵין-מַכְלִים דָּבָר בָּאָרֶץ / وإين مَكْلِيم دابار باآرِص/ وترجمتها السائدة: "وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ مُؤْذٍ بِأَمْرٍ". اعتبر كثير من علماء العهد القديم أن מַכְלִים/مَكْلِيم/ تصحيف وأن الفقرة يجب أن تقرأ – بناء على سياق الآية 10 من ذات الإصحاح – كما يلي: וְאֵין-מחסור כל-דָּבָר בָּאָרֶץ / وإين مَحْسُور كُل دابار باآرِص/. وترجمتها: "[مَكَانٌ] لَيْسَ فِيهِ عَوَزٌ لِشَيْءٍ مِمَّا فِي الأَرْضِ". إذن يقترح بعض علماء العهد القديم هنا מחסור /مَحْسُور/ بدلاً من מַכְלִים/مَكْلِيم/. والإشكالية هنا هي أن المعنى العام المعروف للجذر العبري (כלם/كلم) في العبرية هو: "أهان؛ احتقر؛ عَيَّر". ولا يستقيم معنى الآية بتوظيف أحد هذه المعاني في الآية المذكورة أعلاه بتاتًا.

يقول جيمس بار: "إن صعوبة فهم هذه الآية تفرض علينا النظر في اللغات الجزيرية [لتفسيرها]، وإن أول ما يتبادر إلى الذهن الفعلُ العربي /كلَّمَ/ والاسم العربي /كَلام/. إن إلباس الكلمة العبرية [מַכְלִים/مَكْلِيم/] المعنى العربي [للجذر /كلم/] يؤدي إلى قراءة جيدة لهذه الآية، فيصبح المعنى: "ولا يتكلم أحدٌ بكلمة في الأرض". وهذا المعنى مناسب للسياق، ويجعل التعديل نتيجة لافتراض التصحيف لاغيًا".

[1] ترجمة فانديك، سفر القضاة، الإصحاح 18، الآية 7.

ويستطرد جيمس بار ويستشهد بما جاء في سفر ميخا (الإصحاح 2، الآية 6): אַל-תַּטִּפוּ, יַטִּיפוּן; לֹא-יַטִּפוּ לָאֵלֶּה, לֹא יִסַּג כְּלִמּוֹת "تَنَبَّأُونَ قَائِلِينَ: «لاَ تَتَنَبَّأُوا». لاَ يَتَنَبَّأُونَ عَنْ هذِهِ الأُمُورِ. لاَ يَزُولُ الْعَارُ". والشاهد هو الكلمات الأخيرة التي ترجمها فانديك بـ "لا يزولُ العارُ"[1]، فأصلها العبري هو: לֹא יִסַּג כְּלִמּוֹת/لا يِسَّج كِلِيموت/. ويستشهد جيمس بار في هذا السياق بعالم التوراة رايدر (Reider) الذي يرى أن معنى (لا يزولُ العارُ) لا يستقيم في هذا السياق، ذلك أن مجمل الآية هي النهي عن الوعظ. بل يرى رايدر (Reider) ومعه جيمس بار بأن عبارة (לֹא יִסַּג כְּלִמּוֹת / لا يِسَّج كِلِيموت/) عبارة عربية دخيلة في العهد القديم أصلها العربي: "لا يَنسُج الكلام"، وهي أليق بسياق الآية إذ لا معنى للعار فيها. ثم يلخص جيمس بار نظرته ومنهجه كما يلي:

(أ) التسليم بوجود مشكلة في النص حاول العلماء السابقون أن يحلوها بافتراض التصحيف ثم اقتراح التعديل نتيجة لافتراضهم التصحيف؛

(ب) ضرورة الانطلاق من مبدأ الاعتماد على النص وحده ورفض فكرة التصحيف فالتعديل نتيجة لافتراض حدوثه؛

(ج) النظر في نسخ أخرى قديمة للنص ومعالجة ذلك لغويًا بناء على منهج التأثيل وعلم اللغة المقارن بين اللغات الجزيرية.[2]

فهذا هو منهج الدراسات التأثيلية وعلم اللغة المقارن كما وظفه جيمس بار في مجموعة كبيرة من الكلمات العبرية غير الواضحة، فألبسها المعاني العربية للكلمات العربية التي تجانس

[1] ترجمة فانديك، سفر ميخا، الإصحاح 2، الآية 6.

[2] انظر Barr, J. (1968)، الصفحة 15.

الكلمات العبرية تأثيليًا، فاهتدى بذلك إلى ضبط المعانى الأصلية للكلمات العبرية بطريقة يدعمها سياق الآيات كما شاهدنا في الآيتين المقتبستين أعلاه. والأهم من ذلك أن كل علماء كتاب العهد القديم بمختلف مشاربهم قبلوا بنتائج بحث جيمس بار وأضرابه، فهذا تقليد بدأ مع الحبر اليهودي المعروف سعيد بن يوسف الفيومي واستمر حتى اليوم. وشتان بينه وبين كتاب لوكسمبورج الذي لم يقبل به أحد سوى أصحاب مواقع الفتنة على الشبكة العنكبية لأنه يعكس الآية كما ذكرنا ويحاول أن يفسر الكلام الحي بالكلام الميت مما يجعل سائر دعاواه باطلة.

3.2. الدعوى الثالثة: دعوى الحروف المقطعة

يزعم المدعو لؤي الشريف[1] أن الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور مثل (ألم) و(طه) و(كهيعص) وغيرها آرامية المعاني وأنه لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا من خلال الآرامية. ويمعن لؤي الشريف في استعمال الصفة (آرامية) في المقطع المشار إلى رابطه أعلاه. وعلى الرغم من أنه يزعم أن الحروف المقطعة آرامية فإنه فسرها في الفيدو المثبت أدناه من العبرية وليس من الآرامية. وهذا يعني إما أنه لا يميز بين الآرامية وبين العبرية، أو أنه يميز بينهما ولكنه يَستهبل الناس ويدلِّس عليهم. وفي الحالتين، أي سواء أكان يفسر الحروف المقطعة من الآرامية أو من العبرية، فإن تفسيره هذا باطل بالكلية لسبب بسيط هو أن المعاني التي نسبها لؤي الشريف إلى الآرامية أو العبرية ليست آرامية ولا عبرية بل فينيقية. إن أسماء الأحرف كما ذكرها فينيقية

[1] انظر:
https://ruclip.com/video/v_HtiVOJlow/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%8C%D8%A3%D9%84%D8%B1%D8%8C%D8%B7%D9%87%D8%8C%D9%83%D9%87%D9%8A%D8%B9%D8%B5-%D8%B3%D9%86%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D9%84%D8%A4%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81.html

وليست آرامية ولا عبرية. ونتوقف قبل الحديث في معاني الحروف عند نشأة الكتابة لأن ذلك – بحد ذاته – كفيل بتفنيد زعمه من الأساس، وإبطاله.

مرت الكتابة عبر تاريخها الطويل في ثلاث مراحل هي:

1.3.2. المرحلة الصُّوَرِيَّة

إن أول كتابة ظهرت في التاريخ هي الكتابة المسمارية التي اخترعها السومريون، وهم شعب مجهول الأصل. وكانت الكتابة المسمارية في الأصل كتابة صُوَرِيَّة بمعنى أنه إذا أراد الكاتب أن يكتب الكلمة الدالة على الرجل في لغة القوم فإنه يرسم هيئة الرجل، تمامًا مثلما نرى في الكتابة الهيروغليفية التي هي أيضًا كتابة صورية. والفرق بين الكتابتين الصوريتين المسمارية والهيروغليفية يكمن في أن أشكال الكتابة المسمارية تطورت بسرعة لتتخذ أشكالاً مجردة هي أشكال المسامير – من ثمة تسميتها بالكتابة المسمارية – بينما حافظت الكتابة الهيروغليفية على أشكالها الصورية البدائية. وهذا الفرق عائد إلى طبيعة المادة المستخدمة في الكتابة، فلقد استعمل الرافدينيون الطين والماء والقصب في الكتابة، فصنعوا ألواحًا من الطين مربعة أو مستطيلة، واستعملوا في الكتابة أقلامًا من القصب كانوا يغرزونها في الطين وهو رطب ويخطون بها ما كانوا يريدون تدوينه من النصوص، ثم كانوا يطبخون الألواح الطينية في التنور حتى تشتد وتصلب لتبقى حتى اليوم. ومن الجدير بالذكر أن غرزة القلم في الطين كانت تكوّن مثلثًا في اللوح أشبه ما يكون برأس المسمار، تتبعه خطوط مستقيمة نحو الأسفل أو اليسار، مما أدى إلى نشوء أشكال تشبه المسامير التقليدية، وهو ما أوحى بتسمية الكتابة الرافدينية بالكتابة المسمارية. أما قدامى المصريون فلقد استخدموا ورق البردي والمداد في كتابتهم، وورق البردي سهل الاستعمال ولا يفرض استعماله على الكاتب مناورات معينية ولا يؤثر على طبيعة الكتابة،

من ثمة عدم تطور أشكالها ومحافظتها على شكلها الصوري البدائي، بعكس الكتابة المسمارية التي أصبحت تختلف كثيرًا عن هيئة مسمياتها التي كانت في البداية صورية بدائية أيضًا.

والكتابة الصورية كتابة صعبة لأنها تفترض وجود صورة لكل مسمى، وهو ما يجعل حفظها واستعمالها بوضوح أمرًا صعبًا لكثرة المسميات والأشياء وكثرة الاشتراك في معاني صورها. أضف إلى ذلك أن كتابة المفاهيم الفكرية والمجاز شبه مستحيل في هذه الكتابة لصعوبة تصويرها. وللتمثيل على ذلك أتوقف عند مفهومَي الإله والسيادة في الكتابتين المسمارية والهيروغليفية.

لقد دل الرافدينون على كلمة "الإله" بلغتهم – وهي /إلُّ/ – بنجمة. والنجمة تشير إلى السماء، وهذا يعني أن الرافدينيين كانوا يعتقدون أن الإله إنما يكون في السماء. من جهة أخرى باتت صورة النجمة مشتركة لأنها تدل على (1) "النجمة" و(2) "السماء" و(3) "الإله". أما قدامى المصريين فعبروا عن مفهوم "السيادة" في لغتهم برسم صورة أسد رافعًا رأسه بشموخ وعز. وهذا يعني أيضًا أن صورة الأسد في الكتابة الهيروغليفية مشتركة لأنها تدل على معنى حسي هو "الأسد" ومعنى مجازي هو "السيادة". ويطلق على طريقة كتابة المعاني المجازية: الكتابة الرمزية.

إذن أدت كثرة الاشتراك في الصور والرموز وكذلك صعوبة الدلالة على المفاهيم الفكرية والمجاز إلى اختراع طائفة من الرموز في الكتابتين لتحديد المعاني وضبطها حتى يتمكن القارئ من فهم السياق من أول وهلة، وهي الرموز المسماة بمحددات المعاني. مثلاً: استعمل الرافدينيون النجمة للدلالة على الإله أولاً ثم على كل ما له علاقة بالدين والعبادة ثانيًا. فبمجرد رؤية نجمة في جملة يفهم القارئ منها أن الجملة تفيد معنى دينيًا. الأمر ذاته ينطبق على الهيروغليفية التي تثبت صورة الرجل للدلالة على أي شيء يشير إلى الإنسان، أو صورة الخشب للدلالة على أي شيء يصنع من الخشب، بما في ذلك القوارب والسفن، مما يؤدي إلى نشوء نظام اصطلاحي

يسهل على الكاتب والقارئ أمر الكتابة والقراءة. ويعقده في الوقت ذاته، مما أدى بالرافدينيين والمصريين إلى البحث عن حلول لمشكلة الكتابة الصورية والرمزية التي باتت غير قادرة عن التعبير بوضوح عما يريدون تدوينه مع التقدم الفكري والعلمي للحضارتين الرافدينية والمصرية.

ومن الجدير بالذكر أن الكتابة الصينية اليوم لا تزال في المرحلة الصُّوَرية بحيث يجب على الطفل – مثلاً – أن يكون حافظًا لبضعة آلاف رمز حتى يستطيع أن يقرأ كتابًا من كتب الأطفال.

2.3.2. المرحلة المقطعية

إذن الكتابة الصورية هي كتابة تصور الأشياء التي يراد كتابتها تصويرًا كما مر معنا. والكتابة الرمزية هي تحمّل الصور الحسية (كصورة الأسد) معاني مجازية (كمعنى السيادة). أما الكتابة المقطعية فهي كتابة صوتية. والكتابة المقطعية الصوتية تتكون من مقاطع صوتية تبدأ بحرف صامت يتبعه حرف صائت قصير مثل /بَ/، /بُ/، /بِ/، أو يتبعه حرف صائت ممدود مثل /با/، /بُو/، /بِي/. وأول مَن مارسها أواخر السومريين وأوائل الأكاديين – على خلاف في ذلك. وعليه فإن الكتابة المسمارية المقطعية كانت أول كتابة مقطعية في التاريخ تطورت من خلال بحث الرافدينيين عن حل لمشاكل الكتابة الصورية، فأتت "المساميرُ" المفردة والمركبة فيها ليس للدلالة على صور أو رموز مجردة بل على مقاطع صوتية بعينها مكونة من حروف ساكنة وأصوات. وتمر قراءة الكتابة المسمارية المقطعية بثلاث مراحل هي:

1. قراءة النص الأكادي ونقل المقاطع الصوتية المسمارية إلى العربية؛
2. تجميع المقاطع الصوتية وتكوين الكلمات؛
3. الترجمة.

مثال (المادة السادسة من قانون حمورابي):[1]

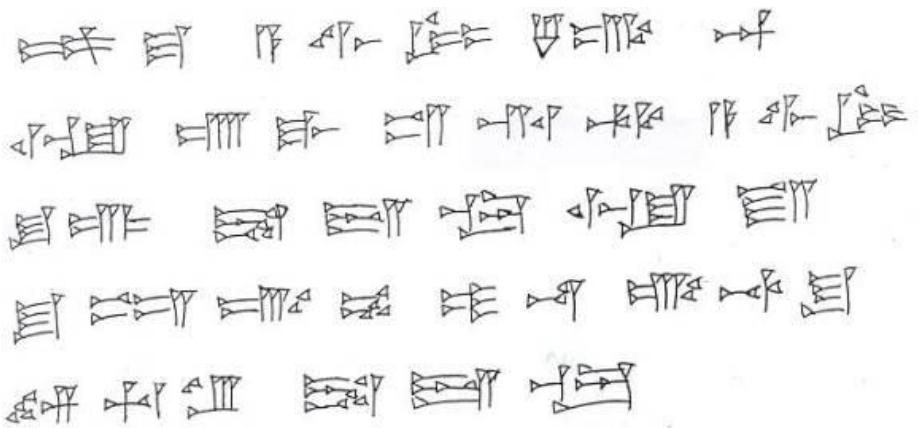

شُمْ – مَ أَ–وِي–لُمْ نِج2 – جا (= نَمْكُور) دنجير (= إلِّمْ) أُو – إِي– جَل يِشْ–رِ–قْ، أَ–وِي–لُمْ شُ –يِدْ–دَ–ق، و شَ شُ–رْقَ–مْ إِ–نَ قَا–تِ–شُ يِمْ–خُ–رُ يِدْ–دَ–ق

شُمَّ أَوِيلُمْ نَمْكُور إلِّمْ وإِيكَلِمْ يِشْرِقْ، أَوِيلُمْ شُ يِدَّقْ، أُو شَ شُرْقَمْ إِنَ قَاتِشُ يِمْخُرُ يِدَّقْ.

"إذا سرق رجلٌ مُلكًا لإله أو من هيكلٍ، يُقتل ذلك الرجل، ويُقتل كلُّ مَن استلم من يده [الملكَ] المسروقَ".[2]

---

[1] النص المسماري منسوخ بخط اليد من أيام الدراسة.

[2] شرح المفردات الأكادية: / شُمَّ/: حرف شرط. / أَوِيلُمْ/: "رجل"، اسم نكرة مرفوع، مشتق من الجذر "أول". وكان في المجتمع البابلي ثلاث طبقات: طبقة الأحرار (أَوِيلُمْ)، طبقة الفلاحين (مُشْكِينُمْ) وطبقة العبيد (وَرْدُمْ من الجذر "ورد"). / نَمْكُور /: "رزق، مال، متاع"، والكلمة سومرية. اسم منصوب مضاف، وتحذف الحركة في المضاف في الأكادية. / إلِّمْ /: "إله"، ويجانس في العربية "إلٌّ" بنفس المعنى. (انظر معنى "إلٍّ" في الآية الكريمة: "لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذِمة" (10:9). /و/: الواو: حرف عطف. /إيكل/:

ومن الجدير بالذكر أن الهيروغليفية طورت، في مرحلة لاحقة، كتابة مقطعية أيضًا، إلا أن الفرق بين الرافدينيين وقدامى المصريين أن الأوائل تخلوا نهائيًا عن الكتابة الصورية والرمزية بعدما طوروا الكتابة المقاطعية، بينما لم يتخل قدامى المصريين عن الكتابة الصورية، وهو ما جعل من الكتابة الهيروغليفية كتابة معقدة جدًا تتكون من صور ورموز ومقاطع صوتية ثنائية الأصوات وثلاثية الأصوات وحروف أبجدية. وهذا عائد إلى المكانة الرفيعة التي كان يتبوؤها الكتاب المصريون في المجتمع المصري القديم، وهي المكانة التي جعلتهم يحولون دون تبسيطها وبالتالي انتشارها حفاظًا منهم على مكانتهم العالية والامتيازات التي كانت ترتبط بتلك المكانة العالية.

وأخيرًا نشير إلى أن الكتابة المقطعية تتكون من 200 إلى 400 مقطع صوتي حسب أصوات اللغة المستعملة لها. ومن اللغات التي لا تزال تستعمل الكتابة المقطعية حتى اليوم: اللغة الأمهرية، وهي لغة جزيرية تعتبر امتدادًا للجعزية، لغة مملكة أكسوم في الحبشة. فالكتابة الجعزية/الأمهرية هي كتابة مقطعية مشتقة من خط المسند الحميري. وهذا من عجائب اللغات لأن الأحباش أخذوا عن عرب الجنوب الكتابة الأبجدية التي تعتبر آخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة، وحولوها إلى كتابة مقطعية، فأداروا بذلك عقارب الساعة إلى الوراء كما يقال.

3.3.2. المرحلة الأبجدية

"هيكل"، من السومرية أيضاً (من: إي "بيت" و: جَل "كبير")؛ والكلمة نكرة مجرورة لأنها مضاف إليه. /يِشْرِقْ/: "يسرق" (الجذر "سرق"): فعل تام. /شُ/: اسم إشارة "ذلك". /شَ/: اسم موصول "الذي". /يِدَّقْ/: يُقتل (الجذر "دقق"). /شُرْقَ/: اسم نكرة منصوب "المسروق"، "الشيء المسروق". /إنَ/: "مِن". /قَاتِشُ/: اسم مجرور بحرف الجر، مضاف إلى ضمير "يَدِهِ" (قاتُ: "يد"، شُ: ضمير الملك للغائب المفرد). /يِمْخُرُ/: استلمَ (الجذر "مخر"): فعل تام.

المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الكتابة هي المرحلة الأبجدية التي سميت هكذا نسبة إلى ترتيب الحروف في الأبجدية الجزيرية الأولى وهي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، وهو الترتيب الذي غيره في العربية أبو الأسود الدؤلي عند تنقيط الحروف إلى الترتيب الحالي الذي يقال فيه أيضًا إن الخليل بن أحمد هو الذي صنع ذلك.

كانت النظرية السائدة أن الأبجدية الفينيقية اشتقت من رسوم الكتابة الهيروغليفية في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلا أن اكتشاف أبجدية أقدم منها بخمسة قرون، وهي الأبجدية الأوغاريتية، التي تستعمل أشكالاً مسمارية لا علاقة لها بصور الكتابة الهيروغليفية، ألغى هذا الرأي تمامًا. فالأوغاريتيون استوحوا أشكال أبجديتهم الأوغاريتية، التي تحتوي على كل الأصوات الجزيرية القديمة (وهي ثمانية/تسعة وعشرون صوتًا)، من الكتابة المسمارية، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد كيف اختزلوا الكتابة المقطعية إلى الكتابة الأبجدية، بينما نستطيع أن نتابع ذلك الاختزال في الأبجدية الفينيقية، حيث قام الفينيقيون باستعمال الصور الدالة على مسميات بعينها (مثلاً: صورة الثور للدلالة على الثور؛ صورة العين للدلالة على العين؛ صورة المربع للدلالة على البيت؛ صورة الموج للدلالة على الماء وهلم جرًا) ليس للدلالة على تلك المسميات، بل للدلالة على الأصوات الأولى لتلك المسميات كما سيتضح أدناه.

يسمى "الثور" في اللغة الجزيرية الأم: /أَلْفُ/، و"البيت": /بَيْتُ/ و"العين": /عَيْنُ/ وهلم جرًا.

في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد بدأ الفينيقيون يستعملون الصورة الدالة على "الثور" – وهي صورة رأس ثور مثلث الشكل بقَرنَيْن وعينَيْن – ليس للدلالة على كلمة / أَلْفُ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /أَلْفٌ/ فقط، وهو حرف الألف. ثم استعملوا الصورة الدالة على "البيت" – وهي صورة مربع – ليس للدلالة على كلمة / بَيْتُ/، بل للدلالة على

الصوت الأول من كلمة /بيتٌ/ فقط، وهو حرف الباء. ثم استعملوا الصورة الدالة على "العين" – وهي صورة العين – ليس للدلالة على كلمة / عَيْنٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /عَينٌ/ فقط، وهو حرف العين، وهكذا دواليك حتى أتوا على أصوات لغتهم، وهي اثنان وعشرون صوتًا فقط، فجعلوا لكل صوت حرفًا.

ثم رتب الفينيقيون الأبجدية مبتدئين بحرف الألف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال إلى آخر ترتيب أبجد هوز. ونحن لا ندري بالضبط لم رتبوا أبجديتهم هكذا، أي لم بدؤوا بالألف ولم يبدؤوا بغيره؟ وقد يكون لذلك علاقة بالمعتقدات الدينية لقدامى الكنعانيين حيث كان الثور يرمز عندهم إلى كبير آلهتهم بعل. وقد لا يعني "البيت" للجزيريين ذوي الأصول البدوية شيئًا أكثر من "المعبد" الذي يعبد فيه إلههم، ولكن هذه مجرد تكهنات.

ثم أخذ الإغريق في أوائل الألف الأول قبل الميلاد الكتابة الأبجدية عن الفينيقيين وحاولوا كتابة لغتهم فيها إلا أنهم اكتشفوا أن الأبجدية الفينيقية لا تحتوي على كل الأصوات اليونانية من جهة (خصوصًا الحركات)، وأنها تحتوي على أصوات غير موجودة في اللغة اليونانية مثل حروف الحلق من جهة أخرى. فاستعمل اليونانيون حروف الحلق للدلالة على الأحرف الصائتة في اليونانية لأن الأبجديات الجزيرية لم تكن تحتوي على أحرف صائتة فيها، فاستعمل اليونان حرف العين الفينيقي للدلالة على الـ o، وحرف الحاء للدلالة حلى حرف الإيتا (وهيئته في اليونانية: η وهو مثل حرف الـ i ولكنه أكثر مدًا منه) وهلم جرًا. ثم سمى اليونانيون نظام الكتابة التي أخذوها عن الفينيقيين بـ ἀλφάβητος أو alfabetos، وهي "الألفباء" في العربية. أما الـ Abecedarium في اللاتينية، فهي ترجمة حرفية لـ "أبجدية".[1]

[1] وللثور وظيفة أخرى تتعلق بالكتابة. فالثور يفلح الأرض من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين وهلم جرًا. ومن طريقته في فلاحة الأرض اشتقت الكلمة للدلالة على طريقة الأوائل (ومنهم اليونان وعرب

وأخيرًا نشير إلى أن الأبجديات الجزيرية لا تحتوي إلا على حروف ساكنة. إلا أن لثلاثة منها — وهي الألف والواو والياء — استعمالين اثنين الأول هو استعمالها أحرفًا ساكنة والثاني هو استعمالها أحرف مد للدلالة على الحركات الطويلة. وهذا يعني أن للغة الجزيرية الأم ثلاث حركات فقط ترد قصيرة ويعبر عنها بالفتح والضم والكسر، وطويلة ويعبر عنها بالألف والواو والياء. والعلة في عدم ورود الحركات القصيرة على شكل أحرف كما هو الحال عليه بالنسبة إلى حروف المد، هو القاعدة الجزيرية العامة التي تحول دون ابتداء كلمة جزيرية بحركة أو بحرف ساكن. وإذا عرفنا أن الأبجدية الجزيرية اشتقت من الأصوات الأولى لكلمات جزيرية بعينها كما أبنا أعلاه، فهمنا جيدًا السبب في عدم احتواء الأبجديات الجزيرية أحرفًا تدل على الحركات الثلاث القصيرة لأن ذلك غير موجود في أوائل كلامهم.

فقول لؤي الشريف إن للحروف الآرامية معاني إذن باطل لجهله المدقع بتاريخ الأبجدية وأسماء الحروف التي هي فينيقية أصلاً وفصلاً. ولا علاقة للآراميين ولا لليهود بها سوى أنهم أخذوها عن الفينيقيين هي وأسماءها معها. وبما أن أسماء الأحرف الفينيقية مشتقة من كلمات فينيقية لها ما يجانسها تأثيليًا في اللغات الجزيرية الأخرى (مثلاً العربية والعبرية والآرامية) كالبيت والعين والنون، فلا يمكن للآرامي أو العبري توظيف معانيها في الآرامية أو العبرية لغايات تفسيرية ذلك لأنها، أي أسماء الحروف الفينيقية، إنما هي أسماء لكلمات بعينها بالفينيقية لا بالآرامية أو العبرية. وعليه فإن الادعاء بآرامية أسماء الحروف في الآرامية أو بعبريتها ادعاء كاذب جملةً وتفصيلاً نتيجة لجهل صاحبه بتاريخ الكتابة، والاستشهاد به باطل جملةً وتفصيلاً.

4.2. الدعوى الرابعة: دعوى المرجعية الكتابية للقرآن الكريم

الجنوب) في الكتابة، أي من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين، وهي Boustrophedon، من اليونانية (βουστροφηδόν) ومعناها "كفلاحة الثور". إن أكثرية النقوش اليمنية المدونة بخط المسند مكتوبة هكذا "كفلاحة الثور".

1.4.2. دعوى المرجعية الكتابية

من نافلة القول إن الإسلام آخر الرسالات السماوية وأن رسالتين سماويتين سبقتا ظهور البعثة المحمدية دُوِّن الوحيُ فيهما بالعبرية والآرامية (العهد القديم) والسريانية (العهد الجديد) وأسستا فيما بعد لتبلور ديانتين مستقلتين هما اليهودية والنصرانية. من هنا فإننا نستخلص أن الإسلام والنصرانية واليهودية ديانات تلتقي في كونها (أ) ديانات توحيدية تدعو إلى عبادة الإله الواحد وأنها (2) ترى في إبراهيم عليه السلام أول الموحدين الداعين إلى عبادة الإله الواحد و(3) أنها تؤمن بأن الإله الواحد قد عرّف البشرية بذاته العلية من خلال الوحي لأنبياء ورسل اصطفاهم للدعوة إليه و(4) أن الوحي الذي تلقاه الأنبياء والرسل المصطفون دُوّن في كتب سمى القرآن الكريم منها صحف إبراهيم والزبور والتوراة والإنجيل والقرآن الكريم. إن الإيمان بالإله الواحد الذي عرّف البشرية بذاته من خلال الوحي هو الذي جعل الناس يجمعون على تسمية هذه الديانات الثلاث بالديانات السماوية أو ديانات الوحي، مع فارق أن مفهوم الوحي عند هذه الديانات الثلاث يلتقي في كونه من عند الله عبر أنبياء ورسل دونوه في صحف، ويختلف في طريقة حدوثه. فالوحي يعني في اعتقاد اليهود اتصالاً مباشرًا بين الله والنبي موسى عليه السلام. أما في النصرانية فيعني الوحي في اعتقادهم أن الله وضع الكلم في قلوب الرسل يوحنا ومرقص وبطرس ولوقا وبولص فدونوها بأيديهم أناجيل ورسائل. أما في الإسلام فالوحي يكون عبر ملاك مرسل يكون وسيطًا بين الله والنبي.[1]

غير أن الثقافة، أية ثقافة، ظاهرة ذات شكل ومضمون. وإذا ما نظرنا في ثقافات الأمم التي يدين سوادها الأعظم بالنصرانية، رأينا أن شكل الثقافة الغربية إغريقي روماني وأن مضمونها مستمد من الديانة النصرانية من جهة، ومن مجموعة من التيارات الفكرية الفلسفية والعَلمانية

[1] انظر قوله تعالى في سورة الشورى، الآية 51: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.

والإنسنية التي نشأت في الغرب بعد القرن السادس عشر من جهة أخرى. وإذا ما أخذنا أيضًا بعين الاعتبار أن العربية – إلى جانب اليونانية واللاتينية والعبرية – "واحدة من لغات الحضارة الحديثة"،[1] فإننا نستخلص بيسر أن المرجعية الفكرية للمتلقي الغربي بشكل عام هي مرجعية يونانية رومانية يهودية نصرانية إسلامية بدرجات تأثير متباينة.[2] في هذا السياق نلاحظ أن ترجمات القرآن الكريم التي قام بها لأهداف مختلفة غير المسلمين من المستعربين والمستشرقين، تطرح أكثر من غيرها إشكالية المرجعية الفكرية للمترجم؛ وهي بالنسبة إلى لغات الأمم التي تدين بالديانتين الكتابيتين (النصرانية واليهودية) إما مرجعية كتابية أو مرجعية عَلمانية انبثقت جدليًا عن المرجعية الكتابية[3] أو مرجعية كتابية – عَلمانية معًا. ولا شك في أن إشكالية المرجعية الكتابية هي التي تحوم حول توظيفها شكوك بسبب توظيفها في السابق لغايات تفتقر إلى الموضوعية. فلقد أمعن بعض المستشرقين في الماضي في توظيف هذه المرجعية من أجل إثبات أن الإسلام ليس سوى فرقة يهودية وأن القرآن الكريم ليس سوى نسخة من التوراة مؤقلمة مع السياق العربي كما كان عليه زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. ولمحاولة إثبات ذلك كان لا بد من لي عنق النص القرآني وتحوير المعنى كي ينسجم مع هذه القناعة المترسخة في بعض الأوساط الاستشراقية عن الإسلام والقرآن الكريم مما أدى إلى ترجمات غير أمينة، وغير دقيقة، ذلك لأنها تفتقد النزاهة في النقل. نذكر من هذه الترجمات – على سبيل المثال لا الحصر – ترجمة ريتشارد بيل الإنكليزية،[4] وترجمة جاك بيرك الفرنسية،[5] وترجمة يوسف يوئيل ريفلين

---

[1] انظر (Versteegh K. & Schippers A. (1987، الصفحة 22.

[2] انظر سارطون، جورج (2010)، الصفحة 61.

[3] بخصوص العلاقة البنيوية بين الديانة النصرانية والعلمانية، انظر مقالتنا: تفكيك مصطلح العلمانية (السليمان عبدالرحمن 2011).

[4] انظر (Bell, Richard (1937-1939.

[5] انظر (Berque J. (1990.

العبرية.[1] ولعل أسوء توظيف لهذه المرجعية في العصر الحديث هو عمل المستشرق المجهول كريستوف لوكسمبورج والمترجم الفلسطيني المسيحي سامي الذيب أبو ساحلية[2] اللذين لا يمكن اعتبار عمليهما عملين علميين لأنهما، أولاً وقبلاً، بلا ضوابط علمية. وعملهما بل عمل جميع المترجمين والمستعربين المتشبعين بالمرجعية الكتابية مبني على الفكر المرجعي الكتابي كما نجده اليوم ملخصًا في كتاب (الهاجرية) لباتريسيا كرون وميشيل كوك[3] وفي كتاب (في ظل السيف) لتُوم هولاند.[4] فهذان الكتابان يجمعان كل الأحكام المسبقة فيما يتعلق بأصل الإسلام، وبُذل فيهما جهد كبير للبرهنة على أن الإسلام ليس سوى فرقة يهودية وأن القرآن الكريم ليس سوى نسخة من التوراة مؤقلمة مع السياق العربي، وأنهما – أي الإسلام والقرآن الكريم – متأثران أيضًا بالديانة النصرانية غير القانونية، أي بالهرطقات النصرانية التي كانت منتشرة آنذاك كالنساطرة واليعاقبة ونحلة آريوس الذي يرى أن المسيح حادث ليس بقديم. وكل ما جاء فيهما مؤسس على أسفار العهد القديم. وهذا يعني بوضوح أن المرجعية الكتابية مؤسسة بشكل عام على أسفار العهد القديم وما تفرّع عنها من شروح وسنن. وسوف نتوقف في هذه الدراسة مليًا عند أسفار العهد القديم وننظر في عند مدى مشروعية توظيفه أو توظيف عناصر منه في الدراسات الإسلامية عمومًا والقرآنية خصوصًا.

---

[1] انظر (ريفلين 1987). ومن الجدير بالذكر أنه صدرت أواخر 2015 ترجمة عبرية جديدة للقرآن الكريم هي: "القرآن بلغة أخرى (2015). ترجمه للعبرية: صبحي علي بدر فياض العدوي. بإشراف أ.د. زيد عمر العيص. عمان، مركز "بينات" للدراسات القرآنية". وهذه – حسب علمنا – أول ترجمة عبرية للقرآن الكريم ينجزها مسلم. ولا شك أن في المقارنة بين هذه الترجمة وبين الترجمات السابقة التي أنجزها مترجمون يهود مجالًا خصبًا للبحث العلمي.

[2] انظر تفنيد الدعوى الثانية.

[3] انظر (1977) Patricia Crone & Michael Cook.

[4] انظر (2012) .Holland T.

2.4.2. بين يدي العهد القديم

كانت اللغة العبرية التوراتية حية حتى السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. بادت العبرية التوراتية لغةً محكية، وأصبحت لغة دينية فقط لا يفهمها إلا الأحبار، وحلّت الآرامية بعد السبي البابلي محلها بالتدريج، وبقي الحال هكذا حتى احتلال الإسكندر المقدوني المشرق وبناء الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد. سكن الاسكندرية، فيمن سكنها، طائفة من اليهود الذين أصبحوا يتحدثون باليونانية. استعجم كتاب العهد القديم، الذي جُمِعَ وقُنِّنَ بعد السبي البابلي، على هذه الطائفة اليهودية الساكنة في الإسكندرية لأن أفرادها صاروا يتحدثون باليونانية في وقت أصبحت العبرية فيه لغة دينية فقط لا يفهمها إلا الأحبار. قام هؤلاء الأحبار حوالي 250 قبل الميلاد بترجمة أسفار العهد القديم إلى اليونانية. تسمى هذه الترجمة بالترجمة السبعينية (Septuaginta)، وهي أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم إلى لغة أخرى. إذن ترجم اليهود كتاب العهد القديم إلى اليونانية لاستعمالهم الديني المخصوص بهم وذلك قبل ظهور الديانة المسيحية. شملت هذه الترجمة كل الأسفار التي كان كتاب العهد القديم يحتوي عليها آنذاك. وعليه فإن الترجمة السبعينية هي ترجمة يونانية للنص العبري للعهد القديم كما كان اليهود قنَّنوه واعتمدوه بعد السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. ويحتوي هذا النص المعتمد لديهم على 46 سفرًا.

ثم نشأت بعد ذلك الديانة المسيحية التي ترى في أسفار اليهود الدينية المرجعية الدينية والبعد اللاهوتي لها، وأدّى هذا المعتقد إلى تشويش الأمر الديني لدى اليهود، لأن الديانة المسيحية أصبحت منذ نشوئها تقسم التاريخ البشري إلى عهدين اثنين: العهد القديم وهو عند المسيحيين العهد الذي اصطفى الله فيه آل إسرائيل والذي كان بمثابة التمهيد لمجيء المسيح عليه السلام، الذي افتتح بمجيئه عهدًا جديدًا للبشرية أنهى العهد القديم بما فيه اصطفاء الله آل إسرائيل .. وأضافت العقيدة المسيحية المتعلقة بالخطيئة الأزلية بعدًا دينيًا عميقًا لهذا الفصل بين العهدين.

وغني عن التعريف أن اليهود لا يسمون أسفار العهد القديم بالعهد القديم لأنهم لا يؤمنون بالتصنيف المسيحي للتاريخ اللاهوتي للتاريخ ولديانتهم وكتبهم ولا يؤمنون بمبدأ النسخ على الإطلاق، بل يسمونها بأسماء كثيرة أشهرها "تاناخ" (كلمة مكونة من أحرف أجزاء العهد القديم الثلاثة: التوراة، الأنبياء، الكتب)، أو "مَقرا (وأصلها: "مِقرأ" وهو اسم الآلة من "قرأ"). ومن الجدير بالذكر أن الديانة المسيحية ركّزت على تلك الأسفار من العهد القديم التي ارتأت فيها تبشيرًا بمجيء المسيح عليه السلام، مثل سفر "حكمة يشوع بن سيراخ" وغيره مما اصطلح فيما بعد على تسميتها بالأبوكريفا أي "الأسفار الزائفة".

سبّب نشوء ديانة جديدة هي المسيحية واعتبارها أسفار اليهود المقدسة عهدًا قديمًا يمهد لعهد جديد ورطة لاهوتية لليهود جعلتهم يراجعون معتقداتهم .وأدت هذه المراجعة للذات التي أتت نتيجة للتطورات الدينية والسياسية الحاصلة آنذاك إلى إعادة تقنين كتب العهد القديم. أدت هذه العملية التي تمت في القرن الثاني للميلاد في اجتماع مشهور لأحبار اليهودية في مدينة يامنة في آسية الصغرى إلى إسقاط مجموعة من أسفار العهد القديم بحيث أصبح عدد أسفاره 39 سفرًا بدلاً من 46 سفرًا. إذن صار عندنا من الآن فصاعدًا نصان قانونيان للعهد القديم: واحد باليونانية، هو الترجمة السبعينية لأصل عبري مفقود قُنِّنَ قبل ظهور المسيحية، مكون من 46 سفرًا، وواحد بالعبرية، قُنِّنَ بعد ظهور المسيحية في القرن الثاني للميلاد، مكون من 39 سفرًا. اتخذ البروتستانت وبعض الفرق المسيحية الصغيرة النص العبري للعهد القديم المكون من 39 سفرًا نصًا قانونيًا لهم، بينما اتخذ الكاثوليك النص اليوناني للعهد القديم المكون من 46 سفرًا نصًا قانونيًا لهم.

النتيجة المتوقعة لحالة لاهوتية معقدة كهذه هي اتهام المسيحيين (ما عدا البروتستانت وأتباع بعض الفرق المسيحية الصغيرة الذين أتوا متأخرين) لليهود بإسقاط الأسفار التي تنبأت بظهور المسيح عليه السلام من نصهم المعتمد من جهة، وبراءة اليهود التام من تلك الأسفار ورد

الاتهام على المسيحين واتهام المسيحين بنحل تلك الأسفار وفبركتها ونسبتها إلى اليهود من جهة أخرى .ويُتحفّظ في هذا المجال على نسبة تلك الأسفار الزائدة أو المحذوفة بالأبوكريفا لأن الأبوكريفا مصطلح ديني أُدخِل في الاستعمال بعد ظهور المسيحية ولا ينطبق بحال على أسفار الترجمة السبعينية لأنها تمت قبل ظهور المسيحية بثلاثة قرون ولأن الأسباب العقائدية التي تدعو لاستعمال هذا المصطلح وتبرره كانت غير موجودة آنذاك.

عُثر بين مخطوطات البحر الميت على أصول عبرية لبعض الكتب الواردة في الترجمة السبعينية والمحذوفة من النص العبري المعتمد في القرن الثاني للميلاد، فصحت الفرضية الأولى وهي قيام الأحبار اليهود بإعادة تقنين نصهم المعتمد لديهم (ولدى البروتستانت وشهود يهوه) اليوم وذلكم في القرن الثاني للميلاد أي بعد ظهور المسيحية. وهذا تقنين جديد تم على ضوء التطورات الدينية في الشرق وأهمها ظهور المسيحية واعتبارها أسفار اليهود المرجعية الدينية والبعد اللاهوتي لها.

إن الترجمة السبعينية لأسفار العهد القديم من العبرية إلى اليونانية، والحالة هذه، وثيقة تاريخية مهمة ليست كغيرها من ترجمات العهد القديم لأنها أصبحت – بعد فقدان الأصل العبري الذي ترجمت منه – بمثابة الأصل أو النظير للنص العبري الضائع الذي قُنِّنَ بعد السبي البابلي كما تقدم.

يُعرف الأصل العبري الحالي لأسفار العهد القديم المعتمد عند اليهود والبروتستانت وبعض الفرق المسيحية الأخرى باسم "النص الماسوري" وذلك نسبة إلى الماسوريين، وهم أحبار يهود كانوا من فرقة القرائين، نقّطوا نص العهد القديم وحرّكوه بالحركات. ومن المعروف أن القرائين هم أول من بدأ دراسة التوراة وأسفار العهد القديم دراسة علمية متأثرين بمناهج المسلمين. وقد اعتمد الماسوريون في تنقيطهم وتشكيلهم نص التوراة على النطق الآرامي للكلمات العبرية لأن

النطق العبري المعياري لها لم يكن معروفًا في القرن الثامن الميلادي، ذلك لأن اللغة العبرية التوراتية أصبحت لغة غير محكية بعد السبي البابلي كما تقدم. وهذا ما يفسر كثرة القراءات الشاذة في النص العبري الحالي. "النص الماسوري" هو أقدم مخطوطة عبرية كاملة لأسفار العهد القديم موجودة اليوم بأيدينا، وتعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وبالضبط إلى السنة 1008 ميلادية. طبعت هذه المخطوطة في مدينة شتوتجارد في ألمانيا سنة 1977 بالعنوان التالي: (Biblia Hebraica Stuttgartensia).[1] وهذه الطبعة هي أهم طبعة علمية لأقدم نص عبري لكتاب العهد القديم وعليها يُعول في البحث العلمي، وتتمتع بأعلى سلطة دينية عند اليهود والبروتستانت. وعلى الرغم من أن التوراة وسائر أسفار العهد القديم هي أقدم من هذا التاريخ بكثير، أي أن تاريخها يعود إلى حوالي 1000، قبل ميلاد المسيح عليه السلام، فإن أقدم مخطوطة تحتوي على التوراة وأسفار العهد القديم كاملة تعود إلى سنة 1008 بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

نستخلص مما ذكرناه أعلاه أن أقدم نسخة كاملة للأصل العبري القانوني لأسفار التوراة وأسفار العهد القديم موجودة بين أيدينا اليوم هي نسخة "النص الماسوري" التي تعود إلى سنة 1008 بعد ميلاد المسيح عليه السلام. أما الأصول العبرية لأسفار العهد القديم التي عثر عليها بين مخطوطات البحر الميت، فهي بمثابة مقتطفات قليلة الكم تكمن أهميتها التاريخية في أنها دليل تاريخي مادي على أن تاريخ الأسفار يعود إلى تلك الفترة (القرن الميلادي الأول) على الأقل. وعدم وجود أصل عبري كامل لأسفار التوراة والعهد القديم يجعل إطلاق أي حكم على أسفار التوراة والعهد القديم بمثابة الرجم بالغيب، لسبب بسيط هو أن إثبات التحريف أو إثبات عدم التحريف يقتضي وجود الأصل التاريخي الذي تعرض النسخ اللاحقة عليه، وهذا محال في حالة التوراة والعهد القديم لأن أقدم نسخة كاملة للأصل العبري لأسفار التوراة وأسفار العهد القديم

[1] انظر Rudolph, W. & Ruger, H. P.(1976-1977).

موجودة بين أيدينا اليوم هي نسخة "النص الماسوري" التي تعود إلى سنة 1008 بعد ميلاد المسيح عليه السلام كما تقدم.

وإذا قال قائل: لكن التوراة أقدم من القرن العاشر الميلادي، فلقد أخبر القرآن الكريم عنها، والقرآن الكريم نزل في لقرن السابع الميلادي، إذن لا بد أن تكون التوراة تعود إلى القرن السابع الميلادي على الأقل. نقول: نحن نتكلم عن مخطوطات ونصوص وأصول وأدلة وبراهين مادية، وليس عن النقل، مهما كانت أهمية النقل وقدسيته. لذلك نستبعد الأدلة النقلية في حديثنا هذا ونبحث عن الدليل المادي.

وحتى نجد نسخة من الأصل العبري لأسفار التوراة والعهد القديم تعود إلى زمان أنبياء بني إسرائيل عيلهم السلام، فإننا نعتبر أي توظيف للمرجعية الكتابية في مقاربات القرآن الكريم توظيفًا منهجيًا خاطئًا لأن أصل التوراة وأسفار العهد القديم الأصلي مفقود، ولأن ما روي منها لم يُروَ متواترًا كما يعلم أهل العلم بالعبرية والتوراة. فهذا سيبويه النحاة اليهود، وخليلهم: مروان بن جناح القرطبي (990-1050)، يقول في مقدمة كتاب اللمع – وهو أول كتاب شامل في نحو اللغة العبرية التوراتية ومكانته في النحو العبري مثل مكانة كتاب سيبويه في النحو العربي – ما نصه: "ورأيت القوم الذين نحن في ظهرانيهم [يريد العرب] يجتهدون في البلوغ إلى غاية علم لسانهم على حسب ما ذكرناه مما يوجبه النظر ويقضي به الحق. وأما أهل لساننا في زماننا هذا فقد نبذوا هذا العلم وراء أظهرهم وجعلوا هذا الفن دبر آذانهم واستخفوا به وحسبوه فضلاً لا يُحتاج إليه وشيئًا لا يُعرج عليه فتعروا من محاسنه وتعطلوا من فضائله وخلوا من زينه وحليه حتى جعل كل واحد منهم ينطق كيف يشاء ويتكلم بما أراد لا يتحرجون في ذلك ولا يشاحّون فيه كأنه ليس للغة قانون يُرجع إليه ولا حد يُوقف عنده قد رضوا من اللسان بما يَسُر أمره عندهم وقنعوا منه بما سَهُل مأخذه عليهم وقَرُب التماسه منهم لا يدققون أصله ولا ينقحون فرعه، فلهم في اللغة مناكير يُغرب عنها وأقاويل يُزهد فيها. وأكثر من استخف منهم

بهذا العلم وازدرى هذا الفن فمن مال منهم إلى شيء من الفقه [يريد أحبار التلمود] تيهًا منهم بيسير ما يحسنونه منه وعجبًا بنزر ما يفهمونه من ذلك حتى لقد بلغني عن بعض مشاهيرهم أنه يقول عن علم اللغة إنه شيء لا معنى له وإن الاشتغال به غير مجدٍ ولا مفيد وإن صاحبه مُعنّى وطالبه متعب بغير ثمرة ينالها منه. وإنما استسهلوا ذلك لقراءتهم ما يقرؤون من الفقه ملحونًا ودراستهم ما يدرسون منه مُصحّفًا وهم لا يشعرون وذلك لعدمهم الرواية وفقدهم الإسناد. وقد بعث ذلك أكثرهم على الاستخفاف بتقيد القرآن[1] وتمييز الـ קמץ من الـ פתח والـ מלעיל من الـ מלרע. وأما علم التصريف والتكلم فيه فهو مما يتشاءمون به ويكادون يجعلونه من جملة الزندقة".[2]

ويدافع ابن جناح في مقدمته عن منهج المقارنة بالعربية لشرح ما غمض من التوراة من خلالها. يقول: "وما لم أجد عليه شاهدًا مما ذكرته ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي لم أتحرّج من الاستشهاد بواضحه ولم أتحرج من الاستدلال بظاهره كما يتحرّج من ضعفَ علمُه وقلَّ تمييزُه من أهل زماننا لا سيما من استشعر منهم التقشف وارتدى بالتدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور .وقد رأيت سعديا [= الحبر سعيد بن يوسف الفيومي] يترجم اللفظة الغريبة بما يجانسها من اللغة العربية. وقد رأيت الأوائل وهم القدوة في كل شيء يستشهدون على غريب لغتنا بما جانسه من غيرها من اللغات فتراهم يفسرون كتب الله من اللسان اليوناني والفارسي

[1] أي التوراة وأسفار العهد القديم. فقد بلغ تأثير الحضارة الإسلامية في اليهود أن استعاروا الألفاظ الإسلامية القحة للدلالة على مسميات بعينها من الشريعة اليهودية كالفقه "للتلمود" والسنة "للمشناة" الخ. ويسمي سعيد بن يوسف الفيومي ويهودا بن قريش ومروان بن جناح وغيرهم من مستعربي اليهود التوراة وأسفار العهد القديم بالقرآن وبالكتاب أيضاً. وترجم اليهود فيما بعد اسم "القرآن" إلى العبرية هكذا: מקרא "مِقرَأ"، وهو اسم الآلة من الفعل /قرأ/ الذي يعني "التلاوة" في العبرية. انظر أيضًا شحلان أحمد (2006).

[2] مروان بن جناح (1866)، الصفحة 2.

والعربي والإفريقي وغيره من الألسن. فلما رأينا ذلك منهم لم نتحرّج [من الاستشهاد] على ما لا شاهد عليه من العبراني [أي غريب التوراة] بما وجدناه موافقًا ومجانسًا له من اللسان العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهًا بلساننا. وأما اعتلاله وتصريفه ومجازاته واستعمالاته فهو في جميع ذلك أقرب إلى لساننا من غيره من الألسن، يعلم ذلك من العبرانيين الراسخون في علم لسان العرب، النافذون فيه وما أقلهم".[1] فابن جناح يقر هنا بصريح العبارة بأن رواية أسفار العهد القديم منقطعة، وأن الإسناد مفقود، وأن السبيل الوحيد لدرس أسفار العهد القديم وفهمها هو الدرسُ اللغوي لتلك الأسفار وتوظيفُ علم اللغة المقارن لتفسير ما استعجم منها بسبب انقطاع الرواية، وهو ما فعله في كتاب اللمع (النحو) وفي كتاب الأصول (المعجم العبري العربي)، حيث فسّر ما استعجم من العبرية بما يجانسه تأثيليًا من العربية.

فالعرف المعمول به في الدراسات التوراتية، منذ سعيد الفيومي (892-942) وابن جناح بعده حتى يومنا هذا، هو أن تفسر التوراة من العربية لأن العبرية القديمة لغة ميتة والعربية لغة حية. ولم تفسر التوراة من السريانية لأن السريانية لغة ميتة هي الأخرى، والميت لا يفيد الميت في شيء. ولا يقول لنا قائل إن السريانية محكية اليوم في بعض مناطق الشام والعراق، فهذه اللهجات السريانية المحكية اليوم ليست فصيحة وهي خليط من السرياني والعربي والتركي والفارسي ولا يستشهد بها في الدرس العلمي. حديثنا عن الآرامية القديمة والسريانية القديمة وهما لغتان ميتتان. وتفسير التوراة من العربية – لأن العربية في اعتلالها وتصريفها ومجازاتها واستعمالاتها أكثر اللغات شبهًا بالعبرية كما ينص ابن جناح – أمر معمول به منذ استعراب اليهود واكتشاف القرابة اللغوية بين العربية والعبرية حتى يومنا هذا كما تقدم، والمصادر والتفاسير والشروح التي تتبع هذا المنهج لا تعد ولا تحصى، ولنا في كلام مروان بن جناح – وهو كما

[1] مروان بن جناح (1866)، الصفحة 7.

ذكرت سيبويه النحاة اليهود وخليلهم – ما يكفي لمعرفة بذلك. وسأضرب أدناه مثالاً على تفسير أحبار اليهودية التوراة من العربية.

وللتدليل على هذا التقليد، أي تفسير التوراة وأسفار العهد القديم من العربية، أورد هذا المثال للنحوي اليهودي اسحاق بن برون (المتوفى سنة 1128)، وما بين المعقوفين [] من عندي للتوضيح:

"אבח [= أ ب ح = الجذر: ب و ح]. אִבְחַת-חָרֶב [/إبحت حرب/ سفر حزقيال، الإصحاح 21، الآية 20]. هذه اللفظة لا نظير لها في النص [= التوراة، أي نادرة]، وترجمها الحكيم أبو الوليد [مروان بن جناح] رحمه الله "بلمعان السيف وبريقه" بحسب المعنى، وأشار يهوذا بن بلعم إلى أن معناها "خوف السيف" دون دليل. وهي عندي مجانسة للعربي وترجمتها "استباحة السيف"، والاستباحة: الانتهاب والاستئصال، قال عنترة:

حتى استباحوا آل عوف عنوة، بالمشرفي والوشيج الذبل.

فجعل [كتاب التوراة] الاستباحة بالسيف والرمح وجاز أن ينسب الفعل نفسه إلى السيف فيقال "استباحه السيف" كما يقال "ضربه السيف وطعنه". وقد جاء عندنا مثل ذلك וְאָכְלָה חֶרֶב וְשָׂבְעָה [/وأكله حِرِب وسبعه/ سفر إرميا، الإصحاح 46، الآية 10:46] فنسب الفعلين إلى السيف. ومما يؤيد هذه الترجمة ويعضدها قوله עַל כָּל-שַׁעֲרֵיהֶם, נָתַתִּי אִבְחַת-חָרֶב [عل كل شعريهم ناتتي إبحت حرب/ سفر حزقيال، الإصحاح 21، الآية 20] أي "جعلتُ على أبوابهم سيفًا يستبيحُهم ويستأصلُهم" [..]. ثم ذكر في آخر الآية لفظة טבח [/طبح/] الذي هو الفعل المختص بالسيف ويؤدي إلى الاستباحة والاستئصال اللذين إياهما يريد [كتاب التوراة]. ولا معنى لظهور لمعان السيف على أبوابهم [كما قال ابن جناح] فيمكن أن [يكون] ذلك لهم وعليهم، والنص لا يقتضي إلا أحد القسمين [= الوجهين]. فإذا لم نجد

لهذه اللفظة اشتقاقًا [في العبرية] وألفينا لها هذه المجانسة [في العربية] – وهي لائقة بالمعنى وسائغة فيه – فأخلق بحمل الترجمة عليها ونسب اللفظ إليها. وقد نحا هذا المنحى، وإن لم يكن إياه، المترجمُ [في "الترجوم"] في قوله [بالآرامية] קטולי חרבא [قطولي حربا]. وأما רבנו האיי فجعله مثل אבעת [/إبعت] بإبدال العين".[1]

3.2.4. استحالة الاستشهاد بالعهد القديم على القرآن الكريم

تبين مما تقدم أن عبرية التوراة لغة شعائرية ميتة ولهذه يستشهد عليها لا بها، وأن هذه قاعدة في الدراسات الكتابية سنها اليهود المستعربون أنفسهم إبان ازدهار الحضارة العربية وبقيت معمولاً بها حتى اليوم كما تقدم. وهي قاعدة صحيحة عندما تكون العبرية التوراتية – أو أية لغة جزيرية ميتة – هي موضوع البحث. ولا يصح قلب الآية وجعل العربية هي موضوع البحث – كما فعل لوكسميورج – لأن العربية تختلف عن سائر اللغات الجزيرية في أمرين اثنين. الأول مرده إلى براهين بحثية وآخر لا يحتاج إلى برهنة. الأول: قدم العربية على سائر اللغات الجزيرية كما أثبت البحث العلمي في فقه اللغات الجزيرية وإن كانت آخر اللغات الجزيرية تدوينًا . الثاني وهو الأهم: هي اللغة الجزيرية الوحيدة الحية التي لها أدب كبير وذخيرة لغوية أكبر من الذخيرة اللغوية لجميع اللغات الجزيرية مجتمعة. هذان العاملان جعلا علماء الكتاب العهد القديم وعلماء اللغات الجزيرية يفسرون كثيرًا من تراث الشرق القديم عبر العربية لأن البحث العلمي يندب على ذلك لما ثبت من قدم العربية أصواتًا ونحوًا وصرفًا ومعجمًا حتى على البابلية.

أما إذا قلبنا الآية وأصبحت العربية هي موضوع البحث، فيجب هنا التخصيص في ماذا؟ أقصد: البحث في مجال الأصوات أو الصرف أو النحو أو المعجم؟ في المجالات الثلاثة الأولى،

[1] المثال مأخوذ من مقالتنا "الدراسات الجزيرية المقارنة في العصر الوسيط: أسبابها الثقافية وبواعثها الدينية". (انظر السليمان عبدالرحمن 2014).

يمكن أن نقارن العربية بأخواتها اللغات الجزيرية ونطمئن إلى المقارنة ونستأنس بها لأن العربية لغة جزيرية ولأن اللغات الجزيرية أخواتها. فنحن لدينا في العربية على سبيل المثال: أَرَاق/هَراق؛ أنارَ/هَنار؛ أراحَ/هَراح؛ أرادَ/هَراد الخ. كما نجد أفعالاً مزيدة وقع فيها إبدال السين من الهمزة أيضاً مثل ألقى/سَلْقَى؛ أَلْعَفَ/سَلْعَفَ؛ أَقلبَ/سَقْلَبَ. والألف والهاء والسين هنا للتعدية. وإذا علمنا أن حرف التعدية في العبرية هو الهاء وفي السريانية هو السين، استنتجنا أن الهاء والسين كانتا يومًا ما للتعدية في العربية وأن العربية والحبشية نظمتا التعدية فيهما بالألف وأن السبئية والعبرية نظمتاها بالهاء وأن الأكادية وأوغاريتية والحميرية والآرامية/السريانية نظمتها بالسين التي قد تنقلب شينًا. فحرف /السين/ هو حرف التعدية في الأكادية ولهجتيها البابلية والآشورية (مثلاً: أُشَشْكِن، من الجذر: /شكن، سَكَنَ/)، وفي الحميرية (القتبانية: سَعْذَب من الجذر /عذب/)، وفي الآرامية القديمة (שלהב = /شَلْهِب/، من الجذر /لهب/)[1]، وفي الأوغاريتية (لَحَمَ "طَعَمَ"، شَلْحَمَ "أطعمَ"). وورد في العبرية (שבלול = /شَبْلُول/ من الجذر /بلل/)، وفي السريانية: (ܫܡܩܠ = /سَقْبِل/ من الجذر /قبل/) وهو نادر في الأخيرتين ندرته في عربيتنا (بعكس الحميرية وغيرها من لهجات العربية الجنوبية). وحرف /الهاء/ هو حرف التعدية في العبرية (הקדיש = /هِقْدِيش/ وأصله: /هَقْدَشَ/ على وزن /أَفْعَلَ/ ويعني "قَدَّسَ")، وفي الآرامية القديمة (הנפק = /هَنْفِق/ من الجذر /نفق/ وتعني فيها "أخرج"، والإنفاق إخراج الدراهم)، وفي السبئية (/هَعْذَب/ من الجذر /عذب/)، وفي اللحيانية (/هَوْدَقَ/ من الجذر /ودق/ "قَرَّبَ قُرْباناً). أما /الألف/ فيرد في العربية (أراقَ/هَراقَ)؛ وفي الحبشية (/أَسْتَيَ/ "سَقى"، من الجذر /ستي/؛ وفي السريانية أيضًا – إلى جانب السين/الشين: (ܐܠܒܫ = /أَلْبِشْ/ من الجذر /لبش/ "أَلْبَسَ").

[1] من الألفاظ التي لا تزال مستعملة في لهجات الشام. وهي البلاد التي كانت الآرامية فيها تحكى قبل تعريبها .كلمة "شَلْهُوبِة" وتعني "الحريق". يقال: "شَلْهَبْ شَلْهُوبةِ" أي أنشأ حريقاً. ومعنى "شَلْهِبْ" الدقيق هو "أَلْهَبَ" أي "أثار اللهبَ"؟

ويلاحظ في هذا السياق أن وزن أَفْعَلَ/هَفْعَلَ/سَفْعَلَ يأتي في اللغات الجزيرية للتعدية وللصيرورة أيضًا مثل "أصبحَ، وأحصدَ الزرعُ" الخ. ومثله في العبرية: השמין = /هِشْمِين/ "أَسْمَنَ" أي صار سمينًا، وفي الحبشية: /أَمْسَلَ/ "أَمْثلَ"، صار مثله في الحديث، الخ.

أما في المجال المعجمي فالمقارنة صحيحة أيضًا من الناحية العلمية بهدف جرد الموروث اللغوي الجزيري المشترك والتأمل في معانيه. أما الاستشهاد باللغات الجزيرية لإلقاء ضوء على معنى في العربية فهذا لا يصح منطقًا لأن تلك اللغات ميتة. وما كان منها حيًا (كالعبرية والسريانية) فهو خليط لغوي (linguistic substratum) هجين لا يطمأن إليه البتة.[1] وأضيف في هذا السياق بأن اللغات الميتة ضربان: ضرب بائد نهائيًا كالسومرية والبابلية والمصرية القديمة، وضرب غير بائد كليًا لأنه يستعمل في المجال الديني فقط كعبرية التوراة لليهود واللاتينية للفاتيكان والقبطية للأقباط والجعزية لغة مملكة أكسوم التي يُصلى بها في الكنائس الحبشية، وكالسريانية التي يتعبد بها في بعض كنائس الشام والعراق. تسمى هذه اللغات البائدة المستعملة في العبادات فقط: لغات شَعائرية (Liturgical Languages).

[1] تأمل في مفردات الجملة العبرية التالية ومعناها: (أنا طالب علم نفس في الجامعة): אני סטודנט פסיכולוגיה באוניברסיטה ونقحرتها: أَني سْطُودَنْطْ پْسِيخُولُوگيا بَؤُنِفِرْسِيتا. تتكون الجملة من 1. ضمير متكلم (أني = أنا)، و2حرف الجر (بَ = بِ؛ في) و3 ثلاثة أسماء كلها من الإنكليزية (سْطُودَنْطْ = student)، (پْسِيخُولُوگيا = psychology) و(أُونِفِرْسِيتا = university). فهذا خليط لغوي (linguistic substratum) مركب من طبقات لغوية مختلفة العبرية إحداها. والطبقات اللغوية تنشأ نتيجة لكثرة الاقتراض اللغوي.

3. دعاوى الصبيان

بالإضافة إلى المحاولات الأكاديمية التي بنيت عليها الدعاوى أعلاه، فإن ثمة ظاهرة تتمثل في كثرة المتحدثين الشباب في مواقع معينة وفي (اليوتيوب) وفي (سنابات) خاصة يحاول بعضهم أن يضفي على كلامه المرسل صبغة علمية ليست له. وهؤلاء كثر تعج الشبكة العنكبية وخصوصًا موقع (اليوتيوب) بهم. من هؤلاء المصري نادر عمر[1] والسعودي لؤي الشريف المذكور أعلاه، الذي نشر مقطع فيديو يقول فيه إن التوراة ليست محرفة وينسب التناقض الوارد في الترجمات العربية للعهد القديم إلى المترجمين الذين أساؤوا إلى النص بزعمه. ثم حذف الفيديو[2] بعدما كشف غير واحد من أهل الاختصاص الافتراء الصريح على المترجمين فيه، مما يؤكد عبث ذلك الرجل في أحاديثه المرسلة عبر الشبكة العنكبية. فهو يفترض عدم التحريف ثم يدافع عن افتراضه بالكذب الصريح.

جاء ابتداء من الدقيقة 09:05 من الفيديو المحذوف ما نصه بالحرف:

"انظرا لقد جعلتكما آلهة [كذا بالجمع] لفرعون".

---

[1] انظر: https://www.youtube.com/watch?time_continue=3&v=sG9vV14Q9JQ

[2] على الرغم من حذف الفيديو المذكور أعلاه والذي اطلعتُ عليه بنفسي ونقلت المعلومة المذكورة أعلاه منه بيدي قبل حذفه، فإن لؤي الشريف يكرر مضمونه في تغريدات كثيرة على حسابه في تويتر، ويمكن للمتابع الاطلاع عليها في حسابه: لؤي الشريف @lalshareef. وقد وجدتُ بعد بحث حثيث المقطع في اليوتيوب مقتبسًا في مشاركة للباحث الدكتور سامي عامري على اليوتيوب نشرها بتاريخ 3 أيار/مايو 2017. وقد سبق لي أن عالجت هذه المسألة في موقع الجمعية الدولية لمترجمي العربية في 18 أيلول/سبتمبر 2016. الرابط: http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?t=12309. وهذا هو المقطع المقتبس: https://m.youtube.com/watch?v=C0nUiPkugRY.

يقول لؤي الشريف إن هذه الترجمة كارثية، بسبب جهل المترجم باللغة العبرية، وبالتحديد بسبب الجهل بمعنى اللفظة المستعملة في الأصل العبري لهذه الآية وهي (أدون) التي تعني بالعبرية "سيد" و"رب" كما يقول. ويضيف: "وعليه فإنه يرى أن الترجمة الحقيقية والدقيقة لهذه الآية هي: "انظرا لقد جعلتكما سيدان [كذا بالرفع] على فرعون".

هذه الآية هي الآية الأولى من الإصحاح السابع من سفر الخروج، حيث يخاطب الله – حسب رواية التوراة – موسى عليه السلام، ويأمره بالذهاب مع أخيه هارون عليه السلام إلى فرعون. والآية في ترجمة فانديك العربية كالتالي:

فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ».[1] وهذه ترجمة حرفية للأصل العبري للآية في التوراة وهو:

וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה, רְאֵה נְתַתִּיךָ אֱלֹהִים לְפַרְעֹה; וְאַהֲרֹן אָחִיךָ, יִהְיֶה נְבִיאֶךָ.
النقحرة: وَيُومِر يهوه إِلْ مُوشِه: رِإِيه نِتاتِيكَ إِلُوهِيم لِفارعُه؛ وِآهارون أَحِيكَ يِهيِه نِبِيئِكَ[2].

فالأصل العبري للآية يقول بالحرف:
נְתַתִּיךָ = نِتاتِيكَ = جعلتُكَ
אֱלֹהִים = إِلُوهِيم = إلاه
לְ = لِ = حرف الجر /لِ/ كما في العربية
פַּרְעֹה = فَرعُه = فرعون.

---

[1] ترجمة فانديك، سفر الخروج، الإصحاح السابع، الآية 1.

[2] يلاحظ أني لم أنقحر الكاف في آخرِ الكلمات نِتاتِيكَ/أَحِيكَ/نِبِيئِكَ خاءً كما تلفظ اليوم كي أمكن القارئ العربي غير العارف بالعبرية من استكشاف العلاقة بين العربية والعبرية وفهم النقحرة.

فأين (أدون) الذي يزعم لؤي الشريف أنها موجودة في الأصل العبري، وأنه أُسِيء فهمُها، وأنها تُرجِمَت خطأً إلى "إله"؟ فالنص العبري يقول "إله"، والترجمة العربية تقول "إله". وبهذا يثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن لؤي الشريف يكذب كذبًا صريحًا: (أ) يكذب على المترجم (فانديك) حيث يتهمه بالجهل والتحريف الكارثي؛ و(ب) يكذب على الأصل العبري حيث يدعى أن فيه (أدون) بدلاً من (إله)؛ و(ج) ويكذب على قومه وعلى جميع من يشاهده ويستمع إليه في وسائل التواصل الاجتماعي.

هذا والأمثلة كثيرة عن تخبيص بعض الأغرار مثل لؤي الشريف ونادر عمر وغيرهما، ولا يتسع المجال لمناقشة ما يأتون به لأنه حديث غير علمي وغير معرفي البتة، بل مجرد تلفيق للكلام منتقىً من كلام لوكسمبورج وبعض الكتاب المتشبعين بالمرجعية الكتابية مثل باتريسيا كرون وميشيل كوك صاحبَي كتاب (الهاجرية)[1] وتُوم هولاند صاحب كتاب (في ظل السيف)[2] وغيرهم، وذلك لمصادفة ذلك الكلام هوىً في أنفسهم. فهذا نادر عمر يتحدث في عدد الحروف العربية ويقول إنها اثنان وعشرون حرفًا كالسريانية ويعتبر الأحرف (ضظغ ثخذ) إضافات عربية لاحقة، بينما لا يختلف عالمان في اللغات الجزيرية أن هذه الأصوات العربية الستة أصوات أصلية في اللغة الجزيرية الأم أهملتها العبرية والأرامية/السريانية واحتفظت بها العربية. هذا معروف لطلاب المراحل الأولى في اللغات الجزيرية. ثم يفسر اسم (حضرموت) ويزعم أنه كان في الأصل (حصرموت) بالصاد لأن الضاد لم تكن وقتها موجودة في العربية، وأن المعنى الأصلي: "حصيرة الموت".[3] وهذا شرح لا يمكن أن يصدر عن باحث يعرف بعض اللغات الجزيرية، بل شرح لا يمكن أن يصدر إلا عن شخص لا يعرف كوعه من بوعه فيما يتحدث. فحضرموت تقع في جزيرة العرب وفي اليمن منها، اليمن الذي كانت لغاته القديمة،

[1] انظر (1977) Patricia Crone & Michael Cook.

[2] انظر (2012) Holland T.

[3] انظر: https://www.youtube.com/watch?time_continue=3&v=sG9vV14Q9JQ

ومنها السبئية، تكتب بخط المسند اليمني القديم، وهو أقدم من السريانية وأمها الآرامية ومن كتابتها معها. وخط المسند يحتوي على حرف الضاد. وكانت حضرموت تكتب في اللغة السبئية بالضاد (هكذا: حضرمت)، فلا أثر لـ (حصرموت) بالصاد إلا في خيال ذلك الألمعي الذي يبدو من مجمل شرحه لكتاب لوكسمبورج ومنهجه في كتابه أنه لم يفهمه لجهله بالسريانية والعبرية على الأقل. فهو يروج لشيء لا يفهمه وبطريقة يمجها الذوق لأنها تجمع بين الجهل والغباء والافتراء معًا.

ونختم حديثنا بكلام لكاتب سوري اسمه إبراهيم الجبين يقول في مقالة له بعنوان: (لغة محمد) ما نصه: "والعربية على تعدّد لغاتها تشبه أخواتها الثلاث الآكادية والآرامية والعبرانية، وهي لغات الشرق الساميّة وهي أيضاً لغات الأديان الكبرى التي ظهرت في الشرق وأسس لها رجالٌ مشرقيون. حدثني صديقٌ من الرهبان السريان عن اسمي :إبراهيم، قال، هو في السريانية أبْرُهُمْ، وهو على خمسة أحرف هي:

[أليف – بيث – رو – هِه – ميم] وهي تمثل الأركان الخمسة للمسيحية القديمة: آبو = الآب؛ بَرو = الابن؛ روحُودقودشو = الروح القدس؛ هيمُونوثو = الإيمان؛ معمُوديثو = المعمودية.

وفي العبرانية أيضًا هنالك ارتباط وثيق ما بين الكلمات وحروفها والتوحيد اليهودي القديم وكذلك في عبادات الآشوريين".[1]

الكلام على هذه السفسطة لا ينقضي. فمصدر الرجل "صديق من الرهبان السريان" وليس علمه باللغة السريانية، فضلاً عن علم في اللغات الجزيرية. ومع ذلك فإنه يتحدث بلغة تقريرية عن لغة النبي صلى الله عليه وسلم ويرى أنها خليط. وأما زعمه بوجود ارتباط وثيق بين الكلمات

[1] إبراهيم الجبين (2003). لغة محمد، دراسة. إصدارات مجلة أفق الإلكترونية 2003. المقالة متاحة في الشبكة العنكبية.

العبرية وحروفها والتوحيد اليهودي فهو اعتقاد موجود عند متصوفة اليهود الباطنيين أتباع طريقة (القبالاه)[1]، وعند السحرة العرب[2] واليهود والسريان، وعند هواة حل الكلمات المتقاطعة في الجرائد الصفراء. وناهيك بذلك علمًا لا يختلف شيئًا عن علم الراهب السرياني الذي يسقط أحرف اسم إبراهيم على أركان المسيحية الخمسة: الآب والابن والروح القدس والإيمان

[1] "القبالاه" (קַבָּלָה) ومعناها "التلقي، الاستلام" هي الاسم الذي يطلقه اليهود على تيار التصوف الرئيس لديهم. والتصوف اليهودي يرتكز على كتابين مهمين الأول كتاب "نشيد الأنشاد" في العهد القديم المنسوب تأليفه إلى سليمان عليه السلام، والثاني كتاب "زوهار" (זוהר) "المجد". وينسب تأليف هذا الكتاب الأخير إلى شمعون بن يوخاي (القرن الثاني للميلاد) ولكنه يعتقد أنه من تأليف موسى الغرناطي (1250-1305).

تحاول "القبالاه" التوفيق بين الحكمة اليونانية والتقاليد الدينية اليهودية بطريقة مغايرة لتلك التي اتبعها الفلاسفة مثل ابن ميمون وابن غابيرول وإبراهيم ابن عزرا وغيرهم مفادها التأويل المجازي للمفاهيم والاتحاد مع الذات العليا التي يسمها كتاب زوهار بالذات "غير المتناهية" (אינסוף) وهو مصطلح مستعار من التصوف الإسلامي لأن "القبالاه" تبلورت في الأندلس. إذًا بحد ذاتها لا تختلف "القبالاه" عن غيرها من مذاهب التصوف إلا أن السبب الذي جعلتها تختلف عن غيرها من التيارات الصوفية وتوسم بالسرية والشعوذة هي اعتقاد أتباعها بما يسمونه "بالعلم الباطني" السري الذي هو ضرب من علم ما وراء الطبيعة في وعاء من التقاليد اليهودية (المدراش)، وإيمانهم المطلق بحساب الجمل وما إليه من المعاني الرمزية والسرية للحروف. ولا يعتقد القباليون بالتشوف المباشر أو التجلي المباشر للذات العليا كما نجد عند الحلاج وابن عربي وغيرهما من متصوفة المسلمين، بل تتجلى الذات العليا عندهم من خلال ما يسمونه بـ "العوالم العشرة" (עשר הספירות) التي تكوّن باطن الإنسان عندهم والتي لا يمكن لأحد بدونها أن "يفهم الله" عندهم.

[2] عالج أحد أساطين السحرة العرب وهو أحمد بن علي البوني (الهالك سنة 622 هجرية) في الفصل الأول من كتابه (شمس المعارف الكبرى) "الحروف المعجمة وما يترتب فيها من الأسرار والإضمارات" وكذلك العلاقة بين الحرف وقيمته الرمزية وذلك من وجهة نظر السَّحَرة!

والمعمودية! هذا شطح متصوفة يذكرني بشطح متصوف هولندي كان يفسر ما جاء في المزمور 50 الآية 1:

מִזְמוֹר לְאָסָף: אֵל אֱלֹהִים יְהוָה—דִּבֶּר וַיִּקְרָא-אָרֶץ מִמִּזְרַח-שֶׁמֶשׁ, עַד-מְבוֹאוֹ.

النقحرة: مِزمُور لآساف. إيل، إلُوهِيم، يهوه-دِبِّر وَيِقْرا آرِص مِمِّزْرَح شِمِش، عَد مِبو[ؤ]و. الترجمة الحرفية:"مزمور لآساف. إلّ، إلوهيم، يهوه. تكلمَ ودعا الأرض من مشرق الشمس حتى مغيبها"،

على أنه تبشير بسر الثالوث المقدس في النصرانية. فهو يرى في تتابع الأسماء الثلاثة: (إلّ، إلُوهِيم، يهوه) إشارة جلية إلى سر الثالوث المقدس، ويترجم هذه العبارة بـ "الإله، ذو الثلاثة أقانيم، الرب".[1] وهذا زعم صوفي مبني على الذوق لا يمكن اعتباره دليلاً أو فتحًا علميًا، وهو ليس مقتصرًا على النصارى واليهود، فهو عندي مثل شطحات الكثيرين من متصوفة المسلمين، ومثل مسألة ما يسمى بالإعجاز العددي في القرآن الكريم، ومثل من يفسر الآية (والتين والزيتون) بأن التين هو الحسن، والزيتون هو الحسين، وأن الله يُقسم بهما وليس بالتين والزيتون!

وإبراهيم الجبين هذا في ذلك مثله مثل نادر عمر ومثل لؤي الشريف الذي يقر في مقابلة مع قناة الـ MBC [2] بأنه تعلم اللغة العبرية والسريانية "من خلال الأفلام والمسلسلات والإنترنت"،

---

[1] ترجم فانديك وغيره هذه العبارة كما يلي: "إلهُ الآلهةِ الربُّ". وهذا يعني أنه اعتبر (إلُوهِيم) في هذه الآية بصيغة جمع حقيقي لا مجازي، لأنه ترجمها بـ "آلهة"، بينما تأتي (إلُوهِيم) في التوراة للتدليل على الإله المعبود بحق. وهذه مشكلة لاهوتية عويصة.

[2] انظر على سبيل المثال مقابلة الـ MBC مع لؤي الشريف:

http://www.mbc.net/ar/programs/bel-m...%A7%D8%AA.html.

ويستنتج بناء على ذلك أن عربيتنا الحالية خليط ومزيج بين العربية الجنوبية (اللحيانية) والسريانية! ومثل هذا الاستنتاج متوقع من أشخاص واحد يبني رأيه على مشورة راهب متصوف، والآخر يتعلم اللغة من الأفلام والمسلسلات! فهما – إبراهيم الجبين ولؤي الشريف – يقرَّان بصريح العبارة بأنهما لا يملكان الإطار المعرفي ولا النظري الواجب للتعليل والتفسير وربط الوشائج والقرائن للاستنتاج العلمي، ومع ذلك فإنهما يتحدثان بلغة تقريرية. وهذا متوقع من أشخاص لا يعرفون أن لعلم اللغة المقارن أصولاً وأن الحديث في علاقة اللغات الجزيرية ببعضها غير ممكن إلا بعد دراستها جميعًا وعددها 25 لغة على الأقل بالإضافة إلى الأمازيغية والمصرية القديمة والكوشية وهي اللغات الجزيرية الشرقية. إن من يتحدث في القرابة ثم يصنف اللغات دون معرفتها جميعًا وقبل قراءة كل ما كتب عنها إنما هو يرجم بالغيب ولا قيمة لحديثه على الإطلاق.

خاتمة

حاولنا في هذا البحث معالجة أصول أهم الدعاوى التي تحاول أن توظف – بطريقة أو بأخرى – اللغة الآرامية/السريانية في الكلام الذي يزعم فيه أصحابُه أن العربية مشتقة من الآرامية/السريانية وأن القرآن الكريم لا يفهم إلا من خلال هذه الآرامية/السريانية. لقد تفرعت عن هذه الدعاوى – التي اختزلناها في أربعٍ – دعاوى فرعية لا يصعب التعرف عليها. بعض هذه الدعاوى – مثل دعوى ميركس – يستند إلى إطار معرفي، وبعضها الآخر – مثل دعوى

وإذا كانت الشبكة العنكبية مفتوحة أمام الجميع ومنهم كل صاحب دعوى، فإن اهتمام بعض وسائل الإعلام العربية – ومنها قناة الـ MBC – بخزعبلات لؤي الشريف أمر مثير للعجب. والأعجب من ذلك كله أن محاوريه لا يعرفون كوعهم من بوعهم فيما يتحدث الرجل، فيذهب بهم كل مذهب، لا لشيء إلا لأن (الأعرج بين المقعدين فرسٌ لا يُشق له غبار)!

لوكسمبورج – لا يستند إلى إطار معرفي بل ينطلق من اعتبار الإسلام فرقة يهودية أو مسيحية مؤقلمة مع الواقع العربي إبان البعثة المحمدية، فجاء كلامه ملفقًا لا يستقيم له منهج ولا يصمد أمام نقد. وبعضها الآخر لشباب وكهول عرب – مثل لؤي الشريف ونادر عمر وإبراهيم الجبين – لا يتعدى كونه كلامًا عائمًا مرسلاً في وسائل التواصل الاجتماعي خصوصًا في (اليوتيوب) و(السنابات)، يفتقر إلى أي أساس معرفي نظري أو إطار فكري مرجعي. ومن المؤسف أن نثبت في هذا السياق أن الفكر الرصين المنضبط في الغرب انتقل إلى مراكز الابحاث والجامعات البحثية الكبرى ومؤسسات الخبرات الفكرية (Think Tanks) صونًا له من عبث العابثين في الشبكة العنكبية، بينما يفسح إهمالُ الجامعات والمؤسسات البحثية العربية للدراسات الجزيرية وغيرها من العلم النافع المجالَ لكلِّ من هبَّ ودبَّ من صبيان العرب كي يقحم نفسه فيما يعرف وفيما لا يعرف. لقد جعلت هذه الظاهرة المحزنة كثيرًا من المحتوى العربي الرقمي يبدو وكأنه أسواق ودكاكين وبازارات وبوتيكات للعلم والمعرفة والثقافة والفكر الخ، يُعرض فيها كل شيء حاشا العلم والمعرفة والثقافة والفكر!

مراجع بالعربية:

ابن منظور (بدون تاريخ). لسان العرب. 15 مجلدًا. بيروت، دار صادر.

أمين، أحمد (بدون تاريخ). ضحى الإسلام. ثلاثة مجلدات. بيروت.

باقر طه (1980). من تراثنا اللغوي القديم؛ ما يُسمّى في العربية بالدّخيل. بغداد.

البقاعي، محمد خير الدين (2002). ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية: رينيه خوام, وأندريه شوراكي، وجاك بيرك نموذجا. المصدر:

.http://www.quran-c.com/display/DispBib.aspx?BID=16999

بن شمش (1971). القرآن. ترجمه من العربية إلى العبرية أهارون بن شمش. تل أبيب، دار نشر رامات جان.

ترجمة فانديك = الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية. انتشر على يد جمعية التوراة البريطانية والأجنبية. طبع في بريطانيا العظمى. بدون تاريخ.

الترجمة الكاثوليكية = الكتاب المقدس. منشورات دار المشرق ش ش م. بيروت، 1983.

ترزي، فؤاد حنا (1969). أصول اللغة والنحو. بيروت، دار الكتب.

جعفر هادي حسن (1989). فرقة القرائين اليهود. بيروت/لندن، مؤسسة الفجر.

داود، أقليميس يوسف (1896). اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. الموصل، مطبعة دير الآباء الدومنيكيين.

رافائيل نخلة اليسوعي (1959). غرائب اللغة العربية. المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

ريفلين ي. (1987). القرآن. ترجمه من العربية إلى العبرية يوسف يوئيل ريفلين. دار دفير. تل أبيب.

سارطون، جورج (2010). مدخل لتاريخ العلم. عصر الحضارة الإسلامية. ترجمة د. أحمد الليثي. الرياض.

سعيد بن يوسف الفيومي (1899–1893). تفسير التوراة بالعربية. تحقيق يوسف ديرنبورغ. باريس. الكتاب مطبوع بالعنواني التالي: Derenbourg Joseph (1893-1899). Œuvres Complètes de R. Saadia Ben Iosef Al-Fayyoumi. Paris. Ernest Leroux, éditeur.

سعيد بن يوسف الفيومي (1958). كتاب السبعين (أو الثمانين) لفظة المفردة. تحقيق ل. ألونوي. القدس. (الكتاب مطبوع باللغة العربية بأحرف عبرية ضمن مجموعة من الكتب التي نشرت في ذكرى رحيل المستشرق اليهودي إسحاق يهوذا جولدزيهر، ظهرت بالعنوان التالي: ספר זכרון לכבוד יצחק יהודה גולדציהר. ירושלים תשי"ח).

السليمان، عبدالرحمن (2011). تفكيك مصطلح العلمانية. مجلة ترجمان. المجلد 22. العدد 1. أبريل 2011. مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة. جامعة عبدالمالك السعدي. الصفحة 11–53.

السليمان، عبدالرحمن (2014). الدراسات الجزيرية المقارنة في العصر الوسيط: أسبابها الثقافية وبواعثها الدينية. مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية. العدد 4، الصفحة 250-284.

السليمان، عبدالرحمن (2016).في ضرورة توظيف علم اللغة المقارن في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية. صدرت في: منتصر أمين عبدالرحيم وخالد اليعبودي (2016). المعجم التاريخي للغة العربية، رؤى وملامح. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. سلسلة مباحث لغوية رقم 25. الصفحة 123-157.

شحلان أحمد (1984). الدراسات الشرقية: واقع وآفاق. الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.

شحلان أحمد وإدريس أعبيزة (2004). الدراسات الشرقية: واقع وآفاق. الرباط، مطبعة الأمنية.

شحلان أحمد (2006). التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، التسامح الحق. الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

شحلان أحمد (2009). مجمع البحرين: من الفينيقية إلى العربية. دراسة مقارنة في المعجم واللغات العروبية (السامية). الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

شحلان أحمد (2017). قضايا: من أصول موسى عليه السلام الى البابا بنديكت السادس عشر. الرباط، مكتبة الرسالة.

الفاسي، دواد بن إبراهيم (1936-1954). كتاب جامع الألفاظ. تحقيق س.ل. سكوس في مجلدين. نيو هافن.

القرآن بلغة أخرى (2015). ترجمه للعبرية: صبحي علي بدر فياض العدوي. بإشراف أ.د. زيد عمر العيص. عمان، مركز "بينات" للدراسات القرآنية.

القرقساني، أبو يعقوب إسحاق (1939). كتاب الأنوار والمراقب. مجلدان. نيويورك.

الكرملي، الأب أنستاس ماري (1938). نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها. القاهرة، المطبعة العصرية.

مروان بن جناح (1866). كتاب اللمع. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Le Livre des Parterres Fleuris d'Aboul'l-Walid Merwan Ibn Djanah de Cordoue. Publiée par: Joseph Derenbourg. Paris, 1886.

مروان بن جناح (1875). كتاب الأصول. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: The Book of Hebrew Roots by Abu'L-Walid Marwan Ibn Janah, Called Rabbi Jonah. Published by Adolf Neubauer. Oxford, 1875. Amsterdam, 1968.

موسى بن عزرا (2013). كتاب المحاضرة والمذاكرة. تحقيق أحمد شحلان والسعدية المنتصر. الرباط، مطبعة الرسالة.

يحيى بن حيوج (1870)، كتاب التنقيط. طبع ملحقًا بالترجمة العبرية لكتابي حيوج في حروف اللين وذوات المثلين. تحقيق ي.و.نوت. لندن وبرلين.

يحي بن حيوج (1897). كتاب الأفعال ذوات حروف اللين وكتاب الأفعال ذوات المثلين. تحقيق م. ياسترو، لايدن.

يهوذا اللاوي (1877). كتاب الحجة والدليل في نصر الدين الذليل (كتاب الخزري). تحقيق هـ. هيرشفيلد. لايبزيخ.

يهوذا بن قريش (1857). الرسالة. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Bargès, Jean Joseph Léandre et Dov Ben Alexander Goldberg: "Rabbi yahuda ben koreisch, Epistola de studii Targum utilitate, B.Duprat et A.Maisonneuve, 1857, Paris.

مراجع باللغات الأجنبية:

Aldeeb Samy (2008).Le Coran: texte arabe et traduction française par ordre chronologique selon l'Azhar, avec renvoi aux variantes, aux abrogations et aux écrits juifs et chrétiens, Éditions de l'Aire, Vevey.

Allaithy Ahmed (2014). Qur'anic Term Translation: A Semantic Study from Arabic Perspective. ATI-Academic Publications No 7. Garant. Antwerp.

Augustinus Aurelius (1930). De Genesi ad litteram imperfectus liber. Leiden.

Barr, J. (1968). Comparative Philology and the Text of the Old Testament. Oxford: Exford University Press.

Bell, Richard (1937-1939).The Qur'an. Translated, with a critical re-arrangement of the Surahs. II vols, Edinburgh University Press.

Bennett, R. P. (1998). Comparative Semitic Linguistics: A Manual. Eisenbrauns.

Bergsträsser, G. (1995). Introduction to the Semitic Languages: Text Specimens and Grammatical Sketches. Translated by Daniels P.T. Eisenbrauns.

Berque J. (1990). Le Coran, essai de traduction de l'arabe … Paris. Sindbad.

Beyer, K. (1986). The Aramaic Language. Its Distribution and subdivisions. Traslated from the German by John F. Healey. Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht.

Brockelmann C. (1913). Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. 2 vols. Berlin, Reutherand Reichard.

Brockelmann C. (1925). Syrische Grammatik met Paradigmen, Literatur, Chrestomathie und Glossar. Berlin. Reuther & Reichard.

Brockelmann C. (1928). Lexicon Syriacum. Hale. Sumptibus M. Niemeyer.

Cohen, D. (1970). Dictionnaire des racines sémitiques ou attestées dans les langue dans les langues sémitiques ..Paris. Mouton. La Haye.

Crone P. & Cook M. (1977). Hagarism. The Making of the Islamic World. Cambridge: Cambridge University Press.

De Lacy, O. (1923).Comparative Grammar Of The Semitic Languages. London, Trubner's Oriental Series.

De Roos J. e.a. (1986), Driehonderd Jaar Oosterse Talen in Amsterdam. Amsterdam.

Gordon C.H. (1955). Ugaritic Manual. Rome, Pontificium Institutum Biblicum.

Haywood J.A. (1960). Arabic lexicography: its history, and its place in the general history of lexicography. Leiden: Brill.

Holland T. (2012). In the Shadow of the Sword. London: Little Brown.

Klein E. (1987). A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for the Readers of English. New York.

Kramers J.H. (1956). De Koran. Uit het Arabisch vertaald door J.H. Kramers. Amsterdam.

Luxenberg, Christoph (2000) – Die Syro-Aramäische Lesart des Koran: Ein Beitragzur Entschlüsselung der Koransprache. Berlin: Verlag Hans Schiler.

Luxenberg, Christoph (2007) – The Syro-Aramaic Reading of the Koran – A Contribution to the Decoding of the Koran. Berlin: Verlag Hans Schiler.

Merx A. (1889). Historia artis grammaticae apud Syros. Leipzig.

Moscati S. (1964). An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Phonology and Morphology. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.

Munk S. (1850). Notice sur Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah. Journal Asiatique, tom. I.

Nida E.(1964). Towards a Science of Translating. Leiden, Brill.

Nida E., Taber Ch. R. (2003).The Theory and Practice of Translation. Leiden, Brill.

Nöldeke, Th. (1982). Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. Neudruck. Amsterdam, APA – Philo Press.

Nord, C. (1997). Translating as a Purposeful Activity. Manchester, St. Jerome Publishing.

Reichert V.E., The Tahkemoni of Judah al-Harizi. Jeruzalem, Cohen Publishers, 1973.

Rudolph, W. & Ruger, H. P. (1976-1977). Biblia Hebraica Stuttgardensia. Stuttgart

Versteegh K. & Schippers A. (1987). Het Arabisch. Norm en realiteit. Muiderberg.

Yusuf Ali (1946). The Holy Qur'an. Translation and Commentary by A. Yusuf Ali.

Wenckebach J.C. (ed.), Drie redevoeringen van Hendrik Albert Schultens. Leeuwarden, 1845.

Wright, W. & Smith W. (2002). Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Cambridge University Press 1890. Reprint.